

اعلام الناس

بما وقع للبرامكة مع بنى العباس

تأليف الامام الفاضل والهمام الكامل محمد
المعروف بدياب الاتليدى رحمه الله
تعالى والمسلمين ونفعنا
به وبعلومه آمين

طبع على نفقة
عباس على الخصوصى الكتبى
والشيخ اسماعيل ابراهيم سعيد

ويباع
بالمكتبه الخصوصيه
بأول شارع الصنادقيه بجوار الازهر الشريف

(طبع بمطبعة العلوم الادبية)
« لصاحبها أحمد محمد عيد »

١٠٠٩ اسمن

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذي انزل الكتاب المبين . على اشرف الانبياء والمرسلين . وقص عليه اخبار المتقدمين والمتأخرين . وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين . نحمده اذ جعلنا من امته . ونشكره على عطائه ومنته . ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضي من الامم . ولم يكشف عنا سترة اذا زل بنا القدم وجعلنا امة عدولا وسطا وشهد لنا بذلك في الكتاب المعظم المكرم . فقال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فظهر الفضل بما جاء به وتكرم . ونشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذي قال . ادبني ربي فاحسن تأديبي . فساد على جميع الانبياء وعليهم تقدم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (و بعد) فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط في ايامه . وكثير التخليط وزيادة آثامه . محمد المعروف بدياب الاتليدى من إقليم المنية الخصيبة . سألني بعض الاخوان الموفقين ممن لا يسعني مخالفته ان اجمع له شيأ مما وقع في زمن الخلفاء المتقدمين من بني امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علمي اني لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته (إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس) وابتدات في ذلك بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبركا به وذكره (قيل) لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقصدها فقالت . ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد اقبل من الشام سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عني قال ولم قالت لانه ما اتاني من عطائه منذ ولى امر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدري عمر بحالك وانت في هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ما ظننت ان احدا يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه فقال واعمراه كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فاني ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ اقبل علي بن ابي

طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة الى يوم كذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عليه عند وقوفه في الحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال له اذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي (وقال) شرف الدين حسين بن ريان . انه بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جالس في بعض الايام عنده أكابر الصحابة واهل الراي والاصابة . اذ أقبل شاب نظيف الأثواب يكتنفه شابان من أحسن الشبان نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه بين يدي امير المؤمنين ولبباه . فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما فامرهما بالكف عنه فادنياه منه وقالا يا أمير المؤمنين نحن اخوان شقيقان . جديران باتباع الحق حقيقان . كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله . ربانا صغارا وأعزنا كبارا واولادنا نعما غزارا كما قيل

لنا والد لو كان للناس مثله اب آخر اغنا عموا بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في اشجارها . ويقطع يانع ثمارها . لقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب . ونسألك القصاص بما جناه . والحكم فيه بما أراك الله فنظر عمر الى الشاب وقال له . سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجاش . خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع . ونزع جلباب الجزع . فتبسم عن مثل الجمان . تكلم بافصح لسان . ثم قال . يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا . ما ادعيا وصدقا . فيما نطقا . وخبرا بما جرى . وعبرا عما ترى . وسأنهي قصتي بين يديك . والامر فيها اليك . اعلم يا أمير المؤمنين اني من العرب العرباء ابيت في منازل البادية واصبح على اسود السنين العادية . فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فامضت بي بعض طرائقها . الى المسير بين حدائقها . بنياق حبيبات عزيزات علي . بينهن فحل كريم الاصل . كثير النسل . مليح الشكل . حسن النتاج . يمشي بينهن كانه ملك عليه تاج . فدنت بعض

النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها . فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد زجر و زفر . وتسور الحائط وظهر وفي يده اليمني حجر . يتهادى كالليث اذا خطر . فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله . وأصاب مقتله . فلما رأيت الفحل قد سقط ولجنبه انقلب . توقدت في جمرات الغضب . فتناولت ذلك الحجر بعينه . فضربته به فكان سبب حينه . ولقي سوء منقلبه . والمرء مقتول بما قتل به . بعدان صاح صيحة عظيمة . وصرخ صرخة أليمة . فاسرعت من مكاني . فلم يكن باسرع من هذين الشابين فامسكاني واحضراني كما تراني فقال عمر . قد اعترفت . بما اقترفت وتعذر الخلاص . ووجب القصاص . ولات حين مناص . فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام . لكن لي أخ صغير . كان له أب كبير . خصه قبل وفاته بمال جزيل . أو ذهب جليل . واحضره بين يدي وأسلم امره الي . واشهد الله علي . وقال هذا الاخ لك عندك فاحفظه جهدك . فاتخذت لذلك مدفنا ووضعته فيه ولا يعلم به الا أنا . فان حكمت الآن بقتلي ذهب الذهب . وكنت أنت السبب . وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه . وان انظرتني ثلاثة ايام . اقمت من يتولى امر الغلام . وعدت وافيا بالذمام . ولي من يضمني على هذا الكلام . فاطرق عمر . ثم نظر الى من حضر . وقال من يقول على ضمانه . والعود الى مكانه . قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين . واشار الى ابي ذر دون الحاضرين . قال هذا يكفلني و يضمنني قال عمر . يا اباذر تضمنه على هذا الكلام . قال نعم اضمنه ثلاثة ايام . فرضي الشابان بضمان ابي ذر . وانظراه بذلك القدر . فلما انقضت مدة الامهال . وكاد وقتها يزول وقد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابوذر قد حضر . والخصم ينتظر فقالا ابن الغريم يا اباذر كيف يرجع من فر فقال ابوذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت الضمان واسلمت نفسي و الله المستعان فقال عمر والله ان تأخر الغلام لامضين فى ابى ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج . وتزايد النشيج . فعرض كبار الصحابة على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فاصرا على عدم القبول . وابيا الا الاخذ بثار المقتول

فبينما الناس يموجون تلهفاً للأمر. و يضجرون شماتة بأبي ذر. اذا أقبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليه أتم السلام. ووجهه يتهلل مشرقا. وقال ما اسلمت الصبي الي اخواله وعرفتهم بخفي امواله وأطلعتهم على مكان ماله. ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه. و إقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر. ومن رحمه الطالب رعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أي قوم. ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الي دون من حضر. فقصدني وقال هذا يضمني. فلم أستحسن رده. ورأيت المروءة ان تخيب قصده. فقال الشابان عند ذلك يا أمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا. فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام. وصدقه و وفائه واستغزر مروة أبي ذر دون جلسائه. واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف. واثنى عليهما أحسن ثنائه وتمثل بهذا البيت

من يصنع الخير لم يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما فقالا انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن يبتغه هكذا. لا يتبع احسانه منا ولا اذى (واحضر) الهرمزان بين يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابي فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين قبل ان تقتلني اسقني شربة من الماء ولا تقتلني ظمآن فامر له عمر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتي اشربه قال نعم لك الامان حتي تشربه فالقي الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفاء يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتي انظر في امره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال عمر لقد اسلمت فما اخرك قال خشيت ان يقال اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحققت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش الي ارض فارس و يعمل برايه (ومما ذكر) عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون مما وقع لجبلة ابن الايهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضي الله عنه دعه يقتص منك

او ما هذا معناه فقال لعمر وهل استوى انا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غد فلما اصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال

تنصرت الاشراف من اجل لطمه وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت امي لم تلدني وليتني رجعت الى الامر الذي قاله عمر
وياليت ارعى المخاض بقفرة وكنت اسيرا في ربيعة او مضر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

(ولما) تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية أقطعه هرقل بالاموال والضياع ثم ان عمر رضي الله عنه بعث رسولا الى قيصر يدعوه الى الاسلام أو الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول ألقيت عمك يعني جبلة الذي اتانا راغبا في ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتني قال فذهب الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم أزل أتلطف بالاذن حتى اذن لي فدخلت عليه فرايته قاعد على سرير من قوارير على قوائمه أربعة اسود من ذهب فلما عرفني رفعني معه على السرير فجعل يسألني عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت له قد أضعفوا اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر ابن الخطاب فقلت بخير قال فرأيت الغم في وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التي اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبال على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت ويحك ياجبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال أبعد ما كان مني قلت نعم قد فعل رجلا من فزارة اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام لان الرجل الذي كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزاريا أيضا فقلت له أن امرك اخف من أمره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ان كنت تضمن لي عمر ان يزوجني ابنته ويوليني الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت التزويج ولم اضمن له تولية الامر ثم اومأ الى خادم كان على رأسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق

بها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لي كل فقبضت يدي وقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما اجببت قال فاكل في الذهب واكلت انا في الخلنج ثم دعا بطشوط الذهب واباريق الفضة فغسل يده في الذهب وغسلت في الصفر ثم اوما الي خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجواري وعليهن تيجان الذهب فقعدت عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على راسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم ارا احسن منه وفي يدها جامه فيها مسك فتيت وفي يدها الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومات تلك الجارية وصفرت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومات اليه فطار ثم نزل على صليت في تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتي نفض ما في ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى على يمينه فقال لهن اضحكننا فاندفعن يغنين فجعلن يخفقن عيداتهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق في الزمان الاول
الي قوله أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهموا	بردى يصفق بالرحيل السلسل

فضحك جبلة ثم قال أتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبي ثم اشار الى الجواري اللواتى عن يساره وقال ابكيننا فاندفعن يغنين ويخفقن عيدانهن ويقلن

لمن الدار اقفرت بمعان	بين أعلى اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لال جفنة في الدهر	وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتي سال دمعه على لحيته ثم قال اتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التي أولها ✻ تنصرت الاشراف الى أخرها ثم سالني عن حسان اخي هو قلت نعم فامر له بكسوة واتا ايضا كذلك ثم امر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع اليه الهديه واقرئه مني السلام وان وجدته ميتا فادفعها الي اهله وانحر النوق على قبره قال فلما اخبرت عمر رضي الله عنه بخبره

وما اشترطه علي وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامرة فاذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما أراد ثم جهزني ثانيا الى قرقل وامرني ان اضمن له ما اشترط فعما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته (وقيل) إنه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن ابي وقاص فقال من يعذرني من اهل الكوفة ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة بن شعبة يا امير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت انت القوي الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم ايام عمر وعثمان ومعاوية حتى مات (وقيل) دخل عمرو بن معديكرب الزبيدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر اخبرني عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت وأشجع من لقيت قال خرجت مرة اريد الغارة فبينما انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو محتب بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معديكرب الزبيدي فشهق شهقة فمات فهذا اجبن من رايت. وخرجت مرة حتى انتهيت الي حي فاذا انا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته فقلت خذ حذرك فاني قاتلك قال ومن انت فاعلمته فقال يا ابا ثور ما انصفتني اعطني عهدا انك لا تقتلني حتي اركب فرسي فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبي بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما انا براكب فرسي ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم بناكث العهد فتركته وعضيت فهذا احيل من رايت. وخرجت مرة حتى انتهيت الى موضع كنت اقطع فيه الطريق فلم ارا احدا فاجريت فرسي يمينا وشمالا واذا انا بفارس فلما دنا مني فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من اجمل من رايت من الفتيان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نجو اليمامة فلما قرب مني سلم علي فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارس بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال الويل لك فمن انت قلت عمرو بن معديكرب الزبيدي قال الذليل الحقير والله ما منعني من قتلك الا استصغارك فتصاغرت على نفسي يا امير المؤمنين وعظم عندي ما استقبلني به فقلت دع له هذا وخذ حذرك فاني قاتلك والله لا ينصرف إلا احدنا فقال اذهب

ثكلتك أمك فأنا من أهل بيت ما زال كذا فارس فقط قلت هو الذي تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان تطرد لي واما أن أطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لي فاطرد وحملت عليه فظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك واحدة ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسي عندي وكان الموت احب الي مما رايت فقلت له والله لا ينصرف الا احدنا فعرض مقالته الاول فقلت له اطرد لي فاطرد فظننت اني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب من فرسه فاذا هو صار لبدا لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة راسي وقال خذها اليك ثانية فتصاغرت علي نفسي جدا وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطرد حتى ظننت اني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب من فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قنع بالقناة راسي وقال خذها اليك ثالثة ولولا كراهتي لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلني احب الي ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك في الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان ان عدت يا عمرو الى الطغيان

لتجدن لهب السنان او لا فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت ان لي اليك حاجة قال وما هي قلت اكون صاحبا لك قال لست من اصحابي فكان ذلك اشد علي واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال ويحك اتدري اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريده معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حي من احياء العرب فقال لي يا عمرو في هذا الحي الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسي فانزل وآتي بحاجتي واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتيني بحاجتي فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتك فرمى الي بعنان فرسه ورضيت بان اكون له سائسا ثم مضى الى قبة فاخرج منها جارية لم تر عيناي احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقته ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما ان تحميني واقود الناقة واما ان احميك وتقودها فقلت احميني انت فرمى الي بزمام الناقة ثم سرنا حتى اصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرايت رجالا فقلت اغذذ السير ثم قال يا عمرو انظر ان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان

كانوا كثيرا فليسوا بشيء فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال اغذ السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف وحول وجوه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذاهم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاجلبها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد بنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارس وهو يقول

من دونها ترجوه خضب الرابل   من فارس ملثم مقاتل

يمضي الي شيبان خير وائل   ما كان يضري نحوها بباطل

ثم شد عليه بطعنة قدمنها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الاخر اخرج اليه فاقبل الحارس وهو يقول

لقد رايت كيف كانت طعنتي   والطعن للقوم الشديد الهمة

والموت خير من فراق خلتي   فقتلني اليوم ولا مذلتي

ثم شد عليه بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن ظعينة يا ابن اخي فاني لست كمن رايت فقال لا فقال الشيخ يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتي ونزل فنزل الشيخ وهو يقو

ما ارتجي عند فناء عمري   سأجعل التسعين مثل شهر

تخافني الشجعان طول دهري   ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارس وهو ينشد ويقول

بعد ارتحالي ومطال سفري   وقد ظفرت وشفيت صدري

فالموت خير من لباس الغدر   والعار اهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتي وقال انا ابدا فقال الشيخ هات فرفع الحارس يده بالسيف فلما نظر الشيخ انه قد هوى نه الي راسه ضرب بطنه بطعنة فقد منها امعاءه ووقعت ضربة الفتي علي راس الشيخ فسقطا ميتين فاخذت اربعة افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الي الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى

اين ولسنا باصحاب واست كمن رأيت فقلت اسكتي فقالت ان كنت لى صاحبا فاعطني سيفا او رمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما انا بمعط ذلك وقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتي بطيب عيشي بعدهم ولذتي

واصحبن من لم تكن ذا همة هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم هودت الى الرمح وكادت تنزعه من يدي فلما رأيت منها ذلك خفت ان ظفرت بى قتلتني فقتلتها فهذا اشجع من رأيت (قيل) اتى رجل الى عمر بن الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت أقوى منك من احد قال نعم . خرجت بامرأة من اهلى أريد بها زوجها فنزلت الى حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذودة الى الحوض فسار المرأة فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعها عنها فاخذ رأسي بين عضديه وجنبه فما استطعت التحرك حتى قضي وطره منها فقالت أي خل هذا فامهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فاندبه فتناول رجله فرماني بها فاخطأني واصاب رأس بعير فقتله فقال عمر رضي الله عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه السؤال فلم يزده ففطن انه قتلها (ويحكى) ان عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت افعلتها قال لم اكن فاعلها قالت فاقرأ فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال

علمت بان وعد الله حق وأن النار مثوي الكافرين

وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

وتحمله ملائكة كرام ملائكة الاله مسومين

قالت صدقت وكذبت عيناي قال فذهبت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها و يقول كيف قلت اه

(اول دولة بني أمية معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما)

جلس يوما فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة يدخل

فيه النسيم من كل جانب فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشي نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل في مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله اشقى ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدي لاجل شيء لاعطينه او مظلوما لانصرنه يا غلام قف الباب فان طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول علي فخرج فوافاه فقال ما تريد قال أمير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاويه ممن الرجل قال من تميم قال فما الذي جاء بك في هذا الوقت قال جئتك مشكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم وانشد

اتيتك لما ضاق في الارض مذهبي	فيا غوث لا تقطع رجائي من العدل
وجدلي بانصاف من الجائر الذي	بلاني بشيء كان ايسره قتلي
سباني ابن سعدى وانبرى لخصومتي	وجار ولم يعدل واغصبني اهلي
وهم بقتلي غير ان منيتي	تانت ولم استكمل الرزق من اجلي

فلما سمع معاويه كلامه قال له مهلا يا أخي العرب اذكر قصتك وابن لي عن امرك فقال يا امير المؤمنين كانت لي زوجة وكنت لها محبا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لي جذعة من الابل كنت استعين بها على قوام حالي وكفاية اودي فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقيت لا املك شيئا فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهانا ثقيلا على الذي بالغني وابعدني من كان يشتهي قربي فلما علم ابوها ما بي من سوء الحال وشر المال اخذها مني وجحدني وطردني فاتيت الى عاملك مروان بن الحكم لينصرني فلما احضر اباها وسأله عن حالي فقال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول ابيها ففعل فلما حضرت وقعت منه موقع الاعجاب فصار لي خصما وعلى منكرا واظهر لي الغضب وبعث بي الى السجن فبقيت كانما خررت من السماء او استهوت بي الريح في مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجنيها على الف دينار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي فرغب ابوها في البذل واجابه الى ذلك فلما كان من الغد بعث الي واحضرني وقال طلق سعاد فقلت لا فسلط علي جماعة من غلمانه فاخذوا يعذبونني فلم اجد لي ابدا من طلاقها ففعلت فاعادني الى السجن فمكثت فيه الى

ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقني وقد اتيتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجئا وانشد

في القلب مني غرام للنار فيه استعار والجسم مرمى بسهم فيه الطبيب يحار

وفي فؤادي جمر والجمر فيه شرار والعين تهطل دمعا فدمعها مدرار

وليس الا بربي وبالامير انتصار

ثم اضطرب واسقطت لهاته وصار الغشيا عليه واخذ يتلوى كالحية فلما سمع معاويه كلامه وانشاده قال تعدي بن الحكم في حدود الدين واظلم واجترأ علي حرم المسلمين ثم قال لقد اتيتني يا اعرابي بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه : انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وانشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه فاستغفر الله فعل امريء زاني

وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا يشكو الينا ببث ثم احزاني

اعطي الا له يمينا لا يكفرها شيء وابرا من ديني وايماني

ان انت خالفتني فيما كتبت به لا جعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وعجلها مجهزة مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

ثم طوي الكتاب وطبعه واستدعي الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لاماتتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة قد خلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقوأو بكى ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما ثم كتب مروان كتابا يقول فيه

لا تعجلن امير المؤمنين فقد اوفي بنذرك في سر واعلان

وما اتيت حراما حين اعجبني فكيف ادعى باسم الخائن الزاني

اعذر فانك لو ابصرتها لجرت فيك الاماني على تمثال انسان

فسوف ياتيك شمس ليس يدركها عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب

فنرأه وقال لتدا حسن في الطاعة واطنب في ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال علي بالاعرابي فاتى به وهو فى غاية من تغير الحال فقال يا اعرابى هل لك عنها من سلوة واعوضك عنها ثلاث جوار نهدا بكار مع كل جارية الف دينار واقسم لك فى بيت المال كله سنة ما يكفيك وما يغنيك فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه مات بها فقال له معاوية ما بالك فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد

لا تجعلني فداك الله من ملك ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسي و يصبح فى هم وتذكار

اطلق وثاقي ولا تبخل على بها ... فان فعلت فاني غير كفار

ثم قال يا امير المؤمنين لو اعطيتني الخلافة ما اخذتها دون سعاد وانشد يقول

ابى القلب الاحب سعدو بغضة ... على نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انت مقر على انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك فقال افعل فقال ما تقولين ياسعاد اينما احب امير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وامواله وما ابصرتيه عنده او مروان ابن الحكم في نفسه وجوره او هذا الاعرابى فى جوعه وفقره فانشدت هذا

وان كان في جوع واضرار ... اعز عندي من قومي ومن جاري

وصاحب التاج اومران عامله ... وكان ذى درهم عندي وذينار

والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسي ومحبة لا تبلى وانا احق من ان يصبر معه فى الضراء كما تنعمت معه فى السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها فدفع لها العشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابي واخذها وانصرف (ومن ثمرات الاوراق) عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد ابن عقبة وعتبة ابن ابى سفيان والمغيرة ابن شعبة فقالوا يا امير المؤمنين ابعث الى الحسن ابن علي يحضر لدينا فقال لهم ولم قالوا كي نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه ولن تنصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم ولا فارسل معاوية فلما حضر قال يقول لكم ببلاغته شيئا الا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه

ياحسن انى لم أرسل ولكن هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضي الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمر بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياحسن هل تعلم ان أباك أول من آثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله تعالى به ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد أردنا قتل أبيك فانتقذه الله منه ولو قتلناه ما كان علينا ذنب ثم قام عتبة بن أبي سفيان فقال أياحسن ان أباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما الله منه ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالي ثم قام المغيرة بن شعبة وقال كلاما سبا لعلى وتعظيما لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال بك ابدايامعاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن انت شتمتني بغضا وعداوة وخلافة لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الي الناس وقال انشدكم الله ان الذي شتمته هؤلاء اما كان ابي وهو اول من آمن بالله وصلى الى القبلتين وانت يامعاوية كافر نشرك بالله وكان مع ابى لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين معك ثم قال انشدكم الله اما كان معاوية يكتب لجدى محمد صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه اما تعرف ذلك من بطنك ثم قال وانشدكم الله الا تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه وهو على جمل واخوه هذا يسوقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال وانت تعلم ذلك اما انت ياعمرو فقد تنازعك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الامهم وهو اقلهم حسبا واسواهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت انى شانىء محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلي الله عليه وسلم اللهم انى لا احسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الي النجاشي بما عملت وعلمت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والاسلام فلا نلومك على بغضك الان واما انت يا ابن ابى معيط فكيف نلومك على سبك لابى وقد جلدك ابى في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدي وقتله جدي بامر ربى ولما قدمه للقتل قال من المصيبة بعدى يامحمد فقال جدي لهم النار فلم يكن لهم عند جدى غير النار ولم يكن لهم عند

أي غير السوط واما انت ياعتبة فكيف تعيب احدا بالقتل ولا تعيب نفسك فلم لا قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعدان يغن واما انت يااعور ثقيف ففي اي شيء نسب عليا الي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام الحاكم جائر في رعيته في الدنيا فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثالك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها اسكتي فاني اريدان اطير فقالت لها ماعلمت بوقوعك فكيف يشق على طيرانك فكيف يااعور ثقيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حين قال (وروي) ان معاوية خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموال الاجزية ولم يحضر الحسن ابن علي فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل تركنا حتى نفذ ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال الحسن رضي الله عنه كيف ينفذ ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وانا ابن فاطمة الزهراء * وقيل ان معاوية جلس يوما مع اصحابه اذا اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وأتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا امير المؤمنين احدهما من اليمن والاخري من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يأتونا واما اهل اليمن فينزلون في اماكنهم الى ان نأذن لهم في الدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال اتدرون يا اهل قريش لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا قال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ماليس فيهم واني اريد اذا دخلوا غدا واخذوا اماكنهم من الجلوس ان اقيم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل ما اقل به اكرامهم وارخص به مقامهم وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون يا اهل اليمن لم اخركم ابن هند وقدم قريشا قالوا لا قال لانه في غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذتم اماكنكم من الجلوس وسألكم عن شيء فلا يجيبه احد غيري فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال ايها الناس من تكلم فالعربية قبل العرب وعلى من انزلت العربية مقام الطرماح وقال

نحن يامعاوية ولم تقل ياامير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كانه ارسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي وهو جدنا فقرا العربية وتداولها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يامعاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاويه زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من اقوي العرب ايمانا ومن شهدله بذلك فقال الطرماح نحن يامعاويه قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجونا فاويناه ونصرناه فانزل الله (والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) وكان النبي صلى الله عليه وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئتنا فلما لم تعمل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من افصح العرب لسانا ومن شهدله بذلك فقال الطرماح نحن يامعاوية قال ولم ذلك قال لان امرا القيس بن جعفر الكندي قال في بعض قصائده

يطعمون الناس غبا * فى السنين المجملات * فى جفان كالجوانى * وقدر راسيات

وقد تكلم بالفاظ جاء مثلها فى القرآن وشهدله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاويه زمانا وقال ايها الناس من اقوي العرب سجاعة وذكرا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يامعاويه قال ولم ذلك قال لان مناعمرو بن معديكرب الزبيدي كان فارسا وفى الجاهلية وفى الاسلام وشهدله بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية وابن انت وقد اتى به مصفدا بالحديد فقال له الطرماح ومن اتى به قال معاوية اتي به على قال الطرماح والله لو عرفت مقداره لسلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيه ابدا فقال له معاوية اتحجني ياعجوز اليمن قال نعم احجك ياعجوز مصر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بنبيه سليمان بن داود عليهما السلام وعجوز مصر جدتك التي قال الله في حقها (وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) قال فسكت معاوية مانا ثم رفع راسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب واعطاه واحسن اليه انتهى

(حكايه اجنبية عن المقام) يحكى ان بهرام لما ولى الملك بعد ابيه اقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ولا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتي خرجت البلاد من يده وخربت

فى أيامه وحلت بيوت الاموال فني بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذان وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خني ربباله فجعل يحادثه فتوسطا فى سيرهما بين خربات كانت من امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا أنيس فيها الا اليوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخربات فقال بهرام اترى ان احدا من الناس أعطي فهم لسنة هذا الطائر المصوت في الليل فقال الموبذان ايها الملك انا ممن خصهم الله بذلك قال فماذا يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال هذا يوم ذكر يخطب بومة ويقول لها متعيني بنفسك حتى يخرج من بيننا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت ان الذي تدعوني اليه لي فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والاجل الا انى اشترطت عليك خصالا ان اعطيتها اجبت الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه مني قالت ان تعطيني من خرابات امهات الضياع عشرين قريه مما خربت فى ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذي قال لها الذكر قال كان من قوله لها ادا دامت ايام هذا الملك السعيد اقطعك منها الف قريه خراب فما تصنعين قالت في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من أولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا أسهل امر سالتنيه وانا ملىء بذلك ما حى هذا الملك فلما سمع هذا الكلام من الموبذان تأثر من نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان فقال ايها القائم بأمر الدين الناصح للملك والمنبه له عما أغفله من أمور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ما هذا الكلام الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا فقال صادقت من الملك السعيد وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظة على لسان الطائر عند سؤال الملك اياى عما سال فقال له الملك ايها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ايها الملك ان الامر لا يتم الا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام الشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيما وهو الملك فقال اما ماوصفت فحق فابن لى عما اليه تقصد واوضح لي في النيابة قال نعم انك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم واهل البطالة فعمدوا الى

ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا من المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع واسوموا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الرعية فانجلوا عن ضياعهم وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من طاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في منزله ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل

(حكاية اخرى اجنبية) حكى عن الاصمعي انه قال دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكانت على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال له ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني الشره في الدنيا وبذا قضي الله سبحانه وتعالي فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي (وما الله بظلام للعبيد) فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتي ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوي ما اعترفت به عندك وليس الى قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فأمر خالد بحبسه وامر مناديا ينادي في البصرة الا من احب ان ينظر الي عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتي في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء ثم انشأ يقول

هددني خالد بقطع يدي ... ان لم أبح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان أبوح بما ... تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به ... أهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فاتوا خالدا وأخبروه بذلك فلما جن الليل أمر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه أديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به وأمر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ادرؤا الحدود بالشبهات ثم أمر به الي السجن فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليري عقوبة ذلك الفتي وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتي فاقبل يحجل في قيوده ولم يبق أحد من النساء الا بكى عليه وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب فامر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا أيها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضرب به على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه ... ويأبى الله الا ما أراد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبرزت جارية من صف النساء وعليها أطمار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها ناشدتك الله أيها الامير لا تعجل بالقطع حتي تقرأ هذه الرقعة ثم وضعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها

أخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوي من دائه غير فائق
أقر بما لم يفترقه لانه ... رأي ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه ... كريم السجايا في الهوي غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحي وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سالها عن الفضة فاخبرته ان هذا الفتي غاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها مكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروأته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتي اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتي بالقطع وان الله عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسالك ان تاذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثني عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتي قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتي قبلت هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا في الصواني وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد في سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا الى منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعي فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) (قال حماد الرواية) كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كأنها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير اني وجدت هذه وهذا مجتمعين في خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتي ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامي بها منذ ثلاث سنين والله ما امكنني الخلوة بها الا في هذا الوقت وانشد يقول

تمنيت من ربي أفوز بقربها فلما تهيا لي المناعاقه العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدي ولا تجلدونها فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكي بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكي فقالت والله شفقة مما حل به وكيف احتلت حتي خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال اجيبيه قالت

فلم غررت بنفسي قال لها انت حرة أم مملوكة قالت بلى مملوكة فامرها فدخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائة دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها فانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة جمعت بها بين المحبين في ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

(في ايام دولة عبد الملك بن مروان) وهو اول من تسمى عبد الملك في الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره في حياة الحيوان وذكر محمد بن الهيثم ان عبد الملك ابن مروان بعث كتابا الي الحجاج بن يوسف يقول فيه . بسم الله الرحمن الرحيم الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات نهدا ابكارا يكون النهي المنتهي في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فاما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين ثم امرهم بما امر به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا في البلاد فغاصوا حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الي الحجاج بثلاث جوار نهدا بكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقوم بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعني الله تعالى ببقائه يامرني فيه ان اشتري له ثلاث جوار مولدات نهدا ابكارا وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يزينها كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم . واما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم من كلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون الف درهم . واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكهف عظيمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها ثمانون الف درهم وطوي الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ديون

عني افتأذن لي ان اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن انامت الجواري فهبت ريح فانكشف احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوبا فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعته فاتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني لاتمل من البكا　　وقلبي باسهام الامي يسترشق

امكتوم كم من عاشق قتل الهوي　　وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول . لوكان حقا ما تقول لزرتنا　　ليلا اذا هجعت عيون الجسد

فلما جن الليل انتفض ابن النخاس بسيفه واتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها ففطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى ان قدموه الي عبد الملك فلما قدموا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة الموافقة في اثنتين ولم توافق في الثالثه ورأي بوجهها صفره وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانتحال فقالوا يا امير المؤمنين نقول وعلينا الامان قال ان صدقتم آمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتي وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي امير المؤمنين واخبروه بما فعل بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشا يقول

امير المؤمنين اتيت رغما　　وقد شدت الي عنقي يدايا

مقرا بالقبيح وسوء فعلي　　ولست بما رميت به بريا

فان تقتل ففوق القتل ذنبي　　وان تعفو فمن جود عليا

فقال له الملك يا فتي ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى للجيرية فقال وحقك يا امير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوي بالجارية فقال هي لك بما اعدلها فاخذ الغلام الجارية بما اعدها امير المؤمنين من الحلي والجمال وسار بها فرحا مسرورا حتي اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل بهوهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضي خبرهما الي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك اهـ

(وهذه حكاية تشابهها في العشق) حكى عن عبد الله بن معمر القيسي انه قال

حججت سنة الى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذ سمعت انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

اشجاك نوح حمائم السدر فاهجن منك بلابل الصدر
ام عزنومك ذكر غانية اهدت اليك وساوس الفكر
ياليلة طالت على دنفا يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من بهوي لحرجوى متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف معري بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني بها شجنا حتى بليت وكنت لاأدري

(قال) ثم انقطع الصوت ولم ادر ما جاءني فبقيت حائرا واذا به قد اعاد البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الابيات

اشجاك من ريا خيال زائر والليل مسود الذوائب عاكر
واقتاد مقلتك الهوي برسيسه واهتاج القلتك الخيال الزاهرة
ناديت ليلي والظلام كانه يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كانه ملك ترحل والنجوم عساكر
ياليل طلت على محب ماله الا الصباح مساعد وموازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ان الهوي لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى الا حرالابيات الاوانا عنده فرأيته غلاما ماسال عذاره وقد حرق الدمع في وجنته حرقين فقلت نعمت غلاما فقالي وانت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر انقيسي قال الك حاجه قلت له كنت جالسا فى الروضة فماراعني هذه الليلة الا صوتك فبنفسى افديك ماالذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة ابن الخباب ابن المنذر ابن الجموع الانصاري غدوت الي مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة يتهادين كالاقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت على وقالت ياعتبة ماتقول فى وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبر ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض

مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم انشد يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة　　تراترى ترونى بالقلوب على بعد

فؤادي وطرفى يأسفان عليكم　　وعندكم روحى وذكركم عندي

ولست الذ العيش حتي اراكم　　ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن أخى تب الى ربك واستقل من ذنبك فان بين يديك هول المطالع فقال هيهات ما انا بسائل حتي يؤوب القارظان ولم ازل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتي صلينا الظهر واذا بنسوة قد اقبلن واما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفت ما بك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الي السما فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريّة بنت الغطريف السلمى فرفع راسه وانشا يقول　خليلي ريّا قد اجد بكورها　　وسار الى ارض السماوة عيرها

خليلي انى قد عييت عن البكا　　فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة انى وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلته امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الي مسجد الانصار فقمنا حتى اشرفنا على ملأ منهم فسلمت واحسنوا الرد ثم قلت ايها الملا ما تقولون في عتبه وأبيه من سادات العرب قلت فانه رمى بداهية من الهوي فاريد منكم المساعدة الي السماوة قالوا سمعا وطاعه وركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حييتم يا كرام قلنا وانت حييت انا لك اضياف فقال نزلتم باكرم منزل ثم نادي يامعشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا نخطب ابنتك الكريمه لعتبة بن الحباب ابن المنذر المعالي المفخر الطيب العنصر فقال يا اخي ان التي تخطبونها امرها الي نفسها وانا ادخل واخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الي ريا فقالت يا ابت مالي اري الغضب بين عينيك فقال ورد لي قوم من الانصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم لمن الخطبة فيهم قال لفتي يعرف بعتبة ابن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه يفى بما وعد ويدرك ما طلب قال اقسمت لا ازوجنك به ابدا فقد نمى الى بعض

حديثك معه قالت ما كان ذلك قال ولكن اقسمت انى ما ازوجك به قالت احسن اليهم فان الانصار لا يردون ردا قبيحا فاحسن الرد قال باي شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعوا قال احسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاة الحي فدا جابت ولكن اريد لها مثل مهرها فمن القائم به قال عبد الله انا فقال اريد لها الف سوار من ذهب احمر وخمسة الاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابرار والحبر وخمسة اكرشه من العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله نفرا من الانصار الي المدينة المنورة فاتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال اربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف وانصرف وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة ابن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النجدة من مكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضي عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية تقول واعتبتاه قالت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه الجارية وصارت تصيح وتقول

تصبرت لا انى صبرت وانما ... اعلل نفسى انها بك لاحقة

ولو انصفت روحى لكانت الى الردي ... امامك من دون البرية سابقة

فما احد بعدي وبعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت شهقة قضت نحبها واحترفنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت الي الحجاز وأردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا شجرة عليها غصان حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به (ومثل ما تقدم من العشق ما ورد في كتمان الهوي مع تحقق النظر عند اعلانه) ما حكى عن بعض المغرمين من ذوي النعم قال انا بينما في منزل اذ دخل على خادم لي ومعه كتاب فقال رجل رجل بالباب دفع الى هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا ... ونجاك المليك من الهموم

فعندك اومننت شدماء نفسي واغضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله فلت للخادم وائتني به نخرج فلم ير احدا فتعجبت من امره واحضرت الجواري كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسالتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت اني لم افعل ذلك بخلا عن يهوي منكن فمن عرفت بحال هذا الفتي فهي هبة مني له بما لها ومائة دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واسالة قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فلياخذه فمكث الكتاب والذهب اياما لا ياخذه احد فغمني ذلك هذا اقنع ممن يهيه بالنظر فمنعت من يخرج من جواري من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل علي الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائه بعث به اليك فقلت اخرج وائتني به نخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه ماذا اتيت الى روح معلقة عند التراقي وحاد الموت حاديها

حثثت حاديها ظلما فجدبها	في السير حتي نخلت عن تراقيها
والله لو قيل لي تاتي بفاحشة	وان عقابك دنيانا ومافيها
لقلت لا والذي اخشي عقوبته	ولا باضعافها ما كنت اتيتها
لولا الحياء لبحنا بالذي سكنت	بيت الفؤاد وابدينا امانيها

قال فغمني امره فقلت للخادم لا ياتيك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج فبينما انا قد افضت من عرفة واذا فتى الى جانبي على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم علي فرددت عليه السلام ورحبت به فقال اتعرفني فقلت وما نكرك بسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت شيأ أخي لقد غمني امرك واقلقني كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معي الى منزل لا سلمها اليك ومائة دينار ومثلها في كل سنة فقال لا حاجة لي بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا بيت فعرفني من هي من جواري لا كرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لا سميها لا حد وودعني وانصرف وكان آخر العهد به انتهى

(وحكى) ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقي اعرابيا فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال له هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان قال اظلم

واعشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي ايها الامير السر الذي بيني و بينك لا يطلع عليه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف (و ذكر) اهل التواريخ ان الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال يا خالد ائتني بمحدث المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الي شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال احب الامير قال ابعثك الامير الي قاصداً قال نعم فمضي معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدني كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل تروي شيئاً من الشعر قال مامن شاعر الا واروي عنه قال فهل تعرف من انساب العرب ووقائعها قال لا يذهب عني شيء من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب حتى اذاهم بالانصراف قال يا خالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم فقال الفتى اصلح الله الامير بقي من حديثي اظرفه واعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال حدثني فقال اصلح الله الامير هلك والدي وانا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بسني وكان في التصابي من الصبا وما كنا فيه اعجوبة حتى اذا بلغت و بلغت تنافس الخطاب فيها و بذلوا فيها اموالا لجمالها وكمالها فلما رأيت ذلك خامرني السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة فملأتها رملا وصخرا وقيرت راسها و دفنتها تحت فرشي فلما تم على ذلك ايام بعثت الي عمي فقلت يا عمي اني كنت اريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت ان اموت ولا يعلمه احد فان حدث بي أمر فاخرجه واعتق عني عشر نسمات واحجج عني عشر حجج وجهز عني عشر رجال بخيولهم واسلحتهم وتصدق عني بالف دينار ولا تبال يا عم فان المال كثير فلما سمع عمي مقالتي انى امراته فاخبرها بقولي فما كان باسرع من ان اقبلت بجوار بها حتى دخلت فوضعت يدها على راسي ثم قالت والله يا ابن اخي ماعلمت بسقمك وماحل حتى اخبرني ابو فلان الساعة واقبلت تلاطفني وتعالجني بالادوية وحملت لي لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك تحاملت ثم بعثت الي عمي ان الله عزوجل قد احسن الي وعافاني فابتع لي جارية مع خصالها وكمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئاً الا اعطيته فقال يا ابن اخي ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هي من

أعز خلق الله تعالى علي اني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل أمنا وهي الآن سمحت ورضيت بذلك فقلت شانك فرجع الي امرأته فاخبرها بقولي فجمعت عشيرتها فزوجوني اياها فقلت عجل علي بابنة عمي كيف شئت ثم اوريك الخابية فاهديت الي ولم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها علي واحضرتها بكل ماوجدت اليه سبيلا واخذ عمي متاعا من التجارة بعشرة آلاف درهم وكان ياتينا في كل صباح من قبل أبويها لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام أتاني عمي وقال يا ابن اخي انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا صابرين على حبس الثمن قلت شانك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا عليها الى منزله فلما فتحها كان فيها ما علمت فما كان باسرع من ان جاءت امه بجواريها فلم تدع في منزلي كثيرا ولا قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وحفتنا كل الجفاء فهذا حالي اصلح الله الامير فانا من خجلي وضيق صدري آوي الى المساجد فقال الحجاج يا خالد مر للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم وقال يا فتي اغد الى خالد غدا حتي تستوفي منه المال فخرج الفتي من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب داري سمعت ابنة عمي تقول ليت شعري ما ابطاء يا ابن عمي اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمي ابشري وقري عينا فاني دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امري فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها وامها واخوانها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا جزاك عني وعن ابن اخيك خيرا جفوته وضيعته حتي اصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخي ما حالك فقلت والله ما بي من باس الا اني دخلت على الحجاج وذكرله من امره ما كان وانه امرله بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله اخرى فيقول الفتي والله ما بي من باس وانما ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأي الفتي ان ذكر الحجاج لا يزيده الا ابلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول في الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه

الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقي الفتى مقيدا مغلولا فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل بالفتى فقال اصلح الله الامير ما رأيته منذ خرج من حضيرة الامير قال فابعث اليه أحدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسي على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه فقال ان ابن اخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله قال لا ادري ما تقول لابد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن اخي ان الحجاج قد بعث في طلبك افاحلك قال لا الا بين يديه فحمله في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى ادخل علي الحجاج فلما نظره من بعد جمل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد اضعف للفتى ما كنا قد امرناه فقبض المال اجمع وحسن حاله ولم يزل مسامر الحجاج حتى مات (وحضر) اعرابي عند الحجاج فقدم الطعام فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى أكل منها لقمة ثم قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر الي الحجاج مرة والي الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادي خيرا ثم اندفع يا كل فضحك الحجاج حتى استلقي على قفاه وامر له بصلة (وحكى) ان الحجاج امر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها

تأتى اليه الرقاب صاغرة ... ياخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب اميرالمؤمنين وقال الثانى

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وان نزلت يوما فسوف تعود

تري النار افواجا الى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه ... وقومها بالسيف حتى استقامت

ركابه لا تنفك رجلاه منهما ... اذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فامسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما اصبح رفع امرهم الى الحجاج

فاحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثاني ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب والله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

كن ابن من شئت واكتسب ادبا   يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها انا ذا   ليس الفتى من يقول كان ابي

وقيل امر الحجاج بقتل اسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل ياحجاج ان كنا اسأنا في الذنب فما احسنت في العفو والله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله في الكفار فكيف بالمسلمين وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم   اذا اثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج اف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم (قال الراوى) ولما ولى الحجاج العراق قال على بالمراة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس في وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب اموالي قالت نعم قد كان ذلك ياحجاج فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ما ترون في امرها فقالوا عجل بقتلها فضحكت المراة فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحكك قالت وزراء اخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم في موسى فقالوا ارجه واخاه اي انظره الي وقت آخر وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلي فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها (وحكى) ان هند بنت النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها و بذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الي بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة ادبية فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المراة وتقول

وما هند الا مهرة عربية   سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت مهرا فلله درها   وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد

الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبدالله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبدالله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا والله كنا فما حمدنا ثم بنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف هي لك ببشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبدالملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرا عبدالملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرات كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين انى لا اجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج جملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها اولا فلما قرا ذلك الكتاب عبدالملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الي الحجاج يامره بذلك فلما قرا الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يامرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعره بلد هند فركبت في محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فأخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتي اكشفي لى ستار المحمل لاشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فانشدت تقول

فان تضحكي يا هند يارب ليلة   تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول   وما نبالى اذا ارواحنا سلمت   بما فقدناه من مال ومن نشب

فلمال مكتسب والعز مرتجع   اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله منه دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا

ثم دخل بها على الملك بن مروان فتزوج بها (قال) عون بن أبى شداد العبدى بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل في طلبه فلما حضر ومثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال أنت شقي ابن كثير قال بل أمي كانت أعلم باسمي منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الغيب يعلمه غيرك لا بدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك فى على أفي الجنة أم في النار قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم أحب اليك قال أرضاهم للخالق قال فايهم ارضي للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار قال فما لنا نضحك قال لو تستو القلوب قال ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير فى شيء جمع الدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك ياسعيد اختر أى قتلة تريد قال اختر لنفسك ياحجاج فوالله لا تقتلني الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله فبلى وأما أنت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فالامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد (فاينما تولوا فثم وجه الله) قال كبوه لوجهه فقال سعيد (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري) فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على النطع رحمه الله تعالى فكان رأسه بعد قطعه يقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضي الله تعالى عنه تسعا واربعين سنة والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الله ابن مروان)

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم في رمضان سبعة عشرة ختمة قال ابراهيم بن علية كان

يعطيني اكياس الدنانير أقسمها في الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط في كتابه العزيز ماظننت ان أحدا يفعله قال الحافظ بن عساكر كان الوليد عند أهل الشام أفضل من خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفوض للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادم وكل اعمى قائدا وذكر أن جملة ما انفق على المسجد الاموي أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناؤه الا أخوه سليمان لما ولي الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال لما ادرج في اكفانه غلت يداه الي عاتقه فنسأل الله العفو والعافية

(خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان)

(فمما) يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه وقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى (فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين) فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتي الفلانية غلبني عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفعت خدي من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض ولما سمع كلام ربه الذي خلقه وحوله في نعمه خشي من لعن الله وطرده رحمه الله (قيل) انه أطلق من سجن الحجاج ثلثمائة الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا مشيرا وكان شرها في الاكل نكاحا (قال) ابن خلكان في في ترجمته انه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي . قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير فقتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (وقال) أبى سويد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد اثمر واينع على رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير وكان مطرقا فرفع رأسه وقال يا اباز يد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقال اصلح الله الامير اوقامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع راسه وقال يا اباز يد ما يطيب في يومنا

هذا قلت اعزالله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها عادة هيفاء ملفوفة لناء اشربها من كفها وامسح فمي بخدها فاطرق سليمان مليا الا يردجوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع راسه فقال يا اباز يد حضرت في يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرني ما انا وهذه الصفة من لبك قلت نعم ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعد بن عبد الملك فاذا بجارية قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يظهر منها بياض ثدييها وتدوير سرتها ونقش نكتتها وفي رجليها نعلان صراران قد اشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان حقويها ولها صدغين كانهما نونان وحاجبان قد تقوسا على محاجر عينيها المملوءتان سحرا وانف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء من لا يسلو وعلاج من لا يسمو وطال الحجاب وابطا الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان امرا جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت راسها فقلت ايتها الجارية انسية انت ام جنية سماوية ام ارضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكفها كانها لم ترني ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله أصلح الله الامير ما اكلت طيبا الا غصصت به ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان يا اباز يد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا اباز يد ان تلك الجارية التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كأنما الذلفاء ياقوتة قد اخرجت من كيس دهقان

شراؤها علي يا اخي بألف الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات الا غموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة قم يا اباز يد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء حدائق بهجة تحتها من انواع الزهر من اصفرار فاقع واحمر ساطع وابيض

ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه فكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل في اكل وشرب وسرور وانام حبور رالي ان انصرف شيء من الليل فذهب الي فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قري اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الاما كان في مجلسه قالوا الا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا او واحدا اغنيكموه قالوا اغننا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها ... من آخر الليل لما نبه السحر

في ليلة البدر ما يدري فضاجعها ... اوجهها عنده أم عنده القمر

لم يحجب الصوت حراس ولا غلق ... فدمعها الطروق الصوت ينحدر

لو مكنت لمشت نحوا على قدم ... وكاد من لينها للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الي صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الارات ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ما كنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها

الايارب شخص رائع ومشوه ... قبيح المحايا واضح الاب والجد

يروعك منه صوته ولعله ... الي امة يعزي معا والي عبده

فقال سليمان دعيني من هذا المحال فوالله لقد خطر قلبك منه يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الي بستان فحذره فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتي به قال ياسنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني الشمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل دقت له الحجر وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغني صغت اليه المراة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهي (وقيل) كان في ايام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من

بني أسد كانت له مروءة ظاهرة ونعمة وحسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتي قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذى كان يتفضل عليهم وكان واسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال يا ابنة عمى قد رأيت من اخوانى تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى ان يأتيني الموت فاغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتي نفذ وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعى متولى الجزيرة وانما سمي بذلك لاجل كرمه فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى أمر لا يوصف وانه أغلق بابه ولزم بيته قال أفما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا لا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس وخرج سرا من أهله ومعه غلام يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الي الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه على يده ثم أمسك بلجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك فقال له عكرمة ياهذا ما جئتك فى هذا الوقت والساعة وأريد أن تعرفنى قال فما أقبله الا ان عرفتنى من أنت فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدنى قال لا ثم مضي ودخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه فقال لها ابشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهى كثيرة قومى فاسرجى قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والى الجزيرة لا يخرج بعد هدوء من الليل منفردا من غلمانه فى سر من أهله الا الى زوجة أو سرية فقال اعلمي انى ما خرجت فى واحدة منهما قالت تخبرنى فيم خرجت قال ياهذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بى احد قالت لا بد ان تخبرنى قال تكتميه اذا قلت قالت فانى أفعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله وزدت عليه ثم قال اتحبين ان احلف لك أيضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت (واما) خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره بمكانه وكان مشهورا بمروءته وكرمه وكان سليمان

عارفاً به فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما ابطأك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا أمير المؤمنين قال فبما نهضت الينا الان قال لم اعلم يا أمير المؤمنين الا اني بمدهدو من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الي آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا امير المؤمنين لانه كان متنكرا وما سمعت من لفظه الا انا جابر عثرات الكرام قال فتهلب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروآته ثم قال على بقناة فأتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على بعضهما ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة في دار الامارة وامر ان ياخذ لعكرمة كفيلا وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة فطالبه بأدائها قال مالي الي شيء من ذلك سبيل قال لا بد منها قال ليست عندي فاصنع ما انت صانع فأمر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول اني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام شهراً كذلك او اكثر فاضناه ذلك واضر به وابلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذات عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي لا اقولها الا لامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولي ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك كافأته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادي برفيع صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت و بعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا فى قاعة الحبس متغيرا اضناه الضر والالم وثقل القيود فلما نظر اليه عكرمة والي الناس احشمه ذلك فنكس راسه فاقبل خزيمة حتى ركب على راسه فقبله فرفع عكرمة اليه راسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافأتي قال يغفر الله لنا ولك ثم اتى بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود فى رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل

مانالك قال اقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال أغير حالك وان حيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك ثم أمر بالحمام فاخلى وادخلاه معا فقام خزيمة وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل عليه مالا كثيراً ثم سار معه الى داره واستأذنه فى اعتذاره الى ابنة عمه فاستعذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يتقدم بغير أمرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ما وراءك ياخزيمة قال الخير يا أمير المؤمنين قال فما الذي اقبلك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ابقيته وان شئت عزلته قال بل اردده الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله أعلم

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ونفعنا به)

أمه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو تابعي جليل قال الامام احمد ابن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا عمر ابن عبد العزيز كان رضي الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابداً مؤمنا تقيا صادقا أزال ما كان بنو أمية تذكر به عليا رضي الله عنها على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما ولي الخلافة وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا تؤذن لهم فبينماهم كذلك اذ مر بهم رجاء ابن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير قام اليه وأنشد أبياتا منها

يا أيها الرجل المرخى عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيأ من امرهم ثم مر بهم عدي بن أرطاة فقال جرير أبياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة   قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح واعطى ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها لسانه قال أو تروي من قوله قال نعم وأنشد

رأيتك يا خير البرية كلها   نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدي بعد جورنا   عن الحق لما اصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان امرا مدنسا   واطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدا   وكل امرىء يجزي بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه   وقومت ركنا شامخا قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن ابي ربيعة قال اوليس هو الذي يقول

ثم نبهتها فمرت كعابا   طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم انها لي قالت   ويلتي قد عجلت يا بن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له لا يدخل على والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال اوليس هو الذي يقول

هما دلياني من ثمانين قامة   كما انقض بازا كتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا   احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل علي والله ابدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي اوليس هو الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا   ولست بآكل لحم الاضاحي

ولست بزاجر عبسا بكورا   الى بطحاء مكة للنجاح

ولست بقائم كالعود ادعو   قبيل الصبح حي علي الفلاح

ولكني سأشربها شمولا   واسجد عند مبتلج الصباح

والله لا يدخل علي ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال اوليس هو الذي يقول   الله بيني وبين سيدها   يفر بها عني واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل ابن معمر قال اوليس هو الذي يقول

فياليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتى موتها وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد صالح الكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال اوليس هو الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فانشد يقول قصيدته الرائية المشهورة التي منها

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

جاء الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر

هذه الارامل قد قضيت حاجتها فمن الحاجة هذا الارمل الذكر

الخير مادمت حيا لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا ارى لك فيمن ههنا حقا قال بلى يا امير المؤمنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى فأخذها جرير وقال والله لهي احب مال اكتسبه في عمري ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض وقال

رايت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

(خلافه هشام بن عبد الملك بن مروان)

قال ابو الفرج الاصبهاني فى كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها ان تساوي مائة الف درهم قال فلما قربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معى واخرجت ركوة كان فيها نبيذا فبينما انا كذلك واذا بفتي حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم على وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذ بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغنى صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر فلذلى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جويرة حار قلبي في محاسنها   فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقسما الي ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك علينا هذا البلد قال أردت بيع جاريتي هذه قال فكم املت فيها من الثمن قلت ما أقضي به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الي فضل الله والمزيد فيه قال ايقنعك أربعون الفا قلت فيها اقضا الديني وافي صفر اليد قال قد اخذناها بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في حالي ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال اتثق بي ان أوصل ذلك غدا واحملها معي او تكون معك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال لاحد غلمانية احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو الاان غاب عني ساعه فعرفت موضع خطئي وغلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لم اعرفه ولا أدري من هو وهب اني عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست مفكرا الي ان صليت الصبح ودخل اصحابي دمشق وجلست حائرا لأدري ماذا أصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت بالدخول الى دمشق ثم قلت لمن آمن ان الرسول ياتي فلا يجدني فاكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما أضحى النهار فاذا أحد الغلامين الذين كانا معه قد اقبل على فما اذكراني قد سررت بشيء اعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر اليه فقال ياسيدي ابطأ عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم قال لي اتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الي ان وصلنا الى داره فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت على فقلت ما كان من امرك قالت انزلني الى هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا قد اتاني خادم له فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك بضمنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحه وقلت دفعت

جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من اي البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم ولو اهديتها الي الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله لكني ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام الف دينار فاتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار أخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضمه اليك وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يديه وقلت والله لقد ملأت عيني ويدي ثم قال والله اني لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها علي بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فانشدت تقول

أيا من حاز كل الحسن طرا ويا حلو الشمائل والدلائل
جميع الحسن في عجم وعرب وما في الكل مثلك يا غزالي
فاعطف يا مليح على محب بوعدك أو بطيف من خيال
حلالي فيك ذلي وافتضاحي وطاب لمقلتي سهر الليالي
وما أنا فيك أول مستهام فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا وانت أعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تأديبي لها وتعليمي اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضي الى فالحق بي فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنيتك ما بقيت قال فأخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد في اكرامي وكنت معه على اسر حال وأسني منزلة وقد اتسعت أحوالي وكثرت أموالي وصار لي من الضياع والاملاك ما يكفيني الى مماتي ويكفي من بعدي ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه (وقيل) انه لما حج هشام في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد ان يصل الي الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذا قبل زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وكان من احسن الناس

وجاواطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الي الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قدها به الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة ان يرغب فيه أهل الشام وكان أبو فراس الفرزدق حاضرا فقال والله أنا اعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا فراس فقال

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذ رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى الى ذروة العزالتي قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم
في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء و يغضي من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدي من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدرا وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان خلق الحسن والشيم
حمال اثقال اقوام اذا افترحوا ... حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ماقال لا قط الا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين و بغضهمو ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم ... اوقيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد وغايتهم ... ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ماازمة ازمت ... والاسد اسد الشري والباس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم ... سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

مقدم عند ذكر الله فاذكرهم   في كل بدء ومختوم به الكلم
يابى لهم ان يحل الذم ساحتهم   خلق كريم وأيد بالندى هضم
اي الخلائق ليست في رقابهم   لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا   فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضي الله عنه باثني عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعود فيه فقبلها الفرزدق انتهى (ومما يحكى) ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم في صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب فتبعه واحاله الي خباء اعرابي يرعى غنما فقال هشام ياصبي دونك هذا الظبي فائتني به فرفع الصبي رأسه اليه وقال له يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ياصبي ويلك اما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك اذ بداتني بكلامك قبل سلامك فقال ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابي لا قرب دارك ولا حيي مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الي قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فاتي به فلما راي الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الي ان وصل الي هشام فوقف بين يديه ونكث راسه الي الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم علي امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يابردعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهو الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبي قد حضرت في يوم دنا فيه اجلك وخاب فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله يا هشام لئن كان في المدة تأخير ما ضرني من كلامه لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك وحالك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعا لقيت الخذل ولازمك الويل والهبل اما سمعت ماقال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدا فمن

هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال ياسياف على
برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما خطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبركه
فى نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال يا امير المؤمنين عندك المذل بنفسه المتقلب
فى رمسه أأضرب عنقه وانا برىء من دمه قال نعم فاستأذنه ثالثة فهم ان يأذن له فضحك
الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال ياصبى اظنك معتوها ترى انك
مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزأ بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان فى المدة
تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير ماضرنى منك قليل ولا كثير ولكن ابيات حضرت الساعة
فاسمعها فقتلى لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات واوجز
فهذا اول اوقاتك من الاخرة وآخر اوقاتك من الدنيا فانشد يقول

نبئت ان البازعلق مرة عصفور برساقه المقدور

فتعلق العصفور في اظفاره والباز منهمك عليه يطير

فاتى لسان الحال يخبره قائلا هاقدظفرت واني ماسور

مثلى فما يغني لمثلك جوعة ولئن اكلت فانني محقور

فتبسم الباز المذل بنفسه طربا واطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لوتلفظ بهذا من اول
وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم احش فاه درا وجوهرا واحسن
جائزته ودعه يمضي الى حال سبيله

(ابتداء الدولة العباسية)

كان القائم بهذه الدولة ابومسلم الخراسانى وكان اسمه عبدالرحمن بن مسلم فمن قوله

ادركت بالحزم والكتمان ماعجزت عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا

مازلت اسعى بجهد في دمارهم والقوم فى غفلة والناس قدرقدوا

حتى ضربتهموا بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قلبهم احد

ومن رعى غنما فى ارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

(أولهم عبد الله السفاح) ذكر ابن الجوزي في كتاب الاذكياء عن خالد بن
صفوان انه دخل يوما على أبى العباس السفاح وليس عنده أحد فقال يا امير المؤمنين انى
والله مازلت منذ قلدك الله خلافته اطلب ان اصبر معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة

فان راي امير المؤمنين ان يامر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا امير المؤمنين اني فكرت في امرك واستجلبت الفكر فيك فلم ارا احدا له قدرة واتساع في الاستمتاع بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امراة من نساء العالمين فاقصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ بما يشتهى منهن فان منهن الطويلة التي تشتهي لحسنها والبيضاء التي تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد الساند فاطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملات مسامعي ما أشغل خاطري والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع مني موقعا فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقي العباس مفكراً فدخلت عليه أم سلمة زوجته وكان قد حلف لها أنه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له اني لأ أنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شيء تكرهه أو أتاك خبر ارتمت له قال لا فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها اينصحني وتشتمينه فخرجت الى مواليها وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت الى أمير المؤمنين ولم أشك في الصلة فبينما أنا واقف اذ اقبل موالي أم سلمة يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم ها أنا واقف فاستبق الي أحدهم بخشبة فغمزت برذوني فلحقني وضرب كفل البرذون وركضت ففرت منهم واستخفيت في منزلي أياما ووقع في قلبي اني منني من ام سلمة فبينما انا ذات يوم جالس في المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا احب المؤمنين فسبق الى قلبي انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم أر دم شيخ اضيع من دمي فركبت الي دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت في المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسني ثم قال يا خالد انت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم الضرتين الا من الضر وان احدا لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان في ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من

كلامك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك اولا مر في حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت منك هذا اولا قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين افتكذبني قلت افتقتلني قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك ريحانة قريش وانت تطمح بعينك الى النساء والجواري فقيل لى من وراء الستر صدقت يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك فقال السفاح مالك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى (وروى) ان ابادلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فسال سلني حاجتك فقال له ابودلامة اريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلام يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بدلهم من دار يسكنونها فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد قطعتك عشرة ضياع عامرة وعشرة عامرة من فيافي بني اسرافيل قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك يا امير المؤمنين مائة ضيعة عامرة من فيافي بني سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها عامرة قال الحافظ فانظر الى خرفه بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدا بكلب صيد فسهل القضية وجعل ياتي بمسئلة مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما ساله ولو سال ذلك بديهة لما وصل اليها (وروي) عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة من اختفى ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك ولم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ له امانا من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظي عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني باعجب ما رايت في اختفائك فانها كانت ايام تقدير فقال يا امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزلي انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك

واذا انا باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتي اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في رحبة منيفة فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتاعا فقال لي ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة داره فقال لك هذه وهيأ لي ما أحتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده ووالله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في اثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيئا فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك في كل يوم تركب وتعود متعوبا متأسفا كانك تطلب شيئا فاتك فقال لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلي اجده وآخذ بثاري منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني الي منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثاره مني فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن سبب قتله فعرفني الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب على حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل ابيك واقرب اليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال اتعلم أين هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله انا فخذ بثارك مني فقال لي اظن ان الاختفاء اضناك فكرهت الحياة قلت نعم انا والله قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق راسه ساعة ثم رفع راسه الي وقال لي اما انى فسيلقاك غدا يوم القيامة فيحا كمك عند من لا يخفى عليه خافية واما انت فاست مخفر ذمتي ولا مضيع انزيلي اخرج عني فاني لا امن من نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق فاخرج منها صرة فيها خمسمائه دينار وقال له خذ هذه واستعن بها على احتفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رأيت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب (وعن) الهيثم بن عدي قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة في مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بني الحرث بن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمي فخاضوا في الحديث وتذاكروا في مضر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين

ان اليمن هم العرب الذين دامت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسات والتبابعة ومنهم من مدحته الزبر منهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه الذئب ومنهم الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وليس شيء له خطر الا واليهم ينسب من فرس رائع اوسيف قاطع اودرع حصينة اوحلة مصون اودرة مكنونة ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخر هم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن التميمي يرضى بقولك ثم قال له ما تقول ياخالد قال ان اذنت لي في الكلام تكلمت قال اذنت لك في الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطا يا امير المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قاله وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن قصدنا اكلوا وان جاروا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتي عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه فيه عزوا وله اكرموا منا النبي صلى الله عليه وسلم ومنا الخليفة المرتضي ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع ما لا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي واسد الله وسيد الشهداء ذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال اعالم انت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمة قال والسن قال الميدن قال والاذن قال الصنارة والاصابع قال الشناتر قال واللحية قال الذئب قال والذئب قال الكنع قال افمؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)وقال تعالى (بلسان عربي مبين)وقال (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه)فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ألم تر ان الله تعالى قال العين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال السن بالسن ولم يقل الميدن بالميدن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال (يجعلون اصابعهم في اذانهم)ولم يقل

شنا ترهم وقال (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) ولم يقل بذنبي وقال تعالى (فاكله الذئب) ولم يقل فاكله الكنع ثم قال اسالك عن اربع ان اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فهو لكم

(خلافة ابي جعفر المنصور)

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا جاءه شاعر بقصيده قال له ان كانت مطروقة بان يكون احد حفظها او احد انشاها أي بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان لم يكن احد يحفظها نعطيك زنة ماهي مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها مني وينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التي خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شيء (قال الراوي) وكان الاصمعي من جلسائه وندمائه فنظم ابياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته في صفة اعرابي غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال اني امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا أخي العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ماهي مكتوبة عليه فانشد الاصمعي هذه القصيدة يقول

صوت صفير البلبل   هيج قلبي الثمل   الماء والزهر معا
مع زهر لحظ المقل   وانت ياسيدى دلي   وسيدى ومولى
وكم وكم تيمني   غزيل عقيقل   قطفت من وجنته
الشم ورد الخجل   وقلت بس بسبسني   فلم يجد بالقبل
وقال لا لا لا لا   وقد غدا مهرولى   والخود مالت طربا
من فعل هذا الرجل   وولت   ولوة   ولى ولى ياويلى

فقلت لا تولولي و بلي اللؤلؤ لما رأته أشطا
يريد غير القبل و بعده ما يكتفي الا بطيت الوصل لي
قالت له حين كذا انهض وجد بالنقلي وفتية ستوفني
قهيوة كالمسلي شمميها في انفنى ازكى من القرنفل
في وسط بستان حلي بالزهر والسرور لى والعود دندن دللي
والطبل طبطبلي والرقص قد طبطبلي والسقف سقسقلي
شووأوشواوا وشاهشو على و رق سمرجلي وغرد القمري يصيح
من مال في ملي فلو تراني راكبا على حمار اهزلي
يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلي والناس ترجمجلي
في السوق بالقلقلي والكل كعكع كعكع خلفي ومن حوللي
لكن مشيت هاربا من خشية العقيقلي الى لقاء ملك
معظم مبجل يامر لي بخلعة حمراء كالدم دملي
أجر فيها ماشيا مبغددا للذيل انا الاديب الالمعي
من حي ارض الموصلي نظمت قطعا زخرفت تعجز الادبالي
أقول من مطلعها صوت صفير البلبلي

(قال الراوي) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخي العرب هات الذي هي مكتوبة فيه نعطيك زنته قال يا مولاي اني لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندي قطعه عمود من رخام من عهد ابي وهي ملقات ليس لي بها حاجة فنقشتها فيها فلم يسع الخليفه الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفذ ما في خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظني ان هذا الاصمعي فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعي فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية فاذ اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك والله اعلم وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم اشكو اليك ظهور البغي

والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور في مشيته حتى ملا سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب سرطته ان بالبيت رجلا يطوف فاتني به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليماني فقال اجب أمير المؤمنين فلما دخل عليه قال أنا الذي سمعتك آنفا تشكو الى الله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني فقال يا أمير المؤمنين ان الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلات بلاد الله بذلك بغيا وفسادا انت فقال له المنصور ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء ببابي وملك الارض في قبضتي فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل داخل احدا من الطمع ما داخلك استرعاك الله امر المؤمنين وأموالهم فاهملت امورهم واهممت بجمع أموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجبس والاجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفراً استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم تجمع الاموال وتقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس الا ما أرادوا فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك وجدك اوقفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك عالج صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت صرخ بين يديك فضرب اعوانك ضربا شديدا يكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك ولا تنكر لقد كانت الخلفاء قبلك من بني أمية اذا أتت اليهم الظلامة أزيلت في الحال ولقد كنت اسافر الصين يا أمير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا يسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد احدا لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا الامير رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين وانك

مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث فان قلت انما اجمع الاموال لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما اعدوا من الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما أراد وان قلت انما اجمع للولد فقد اراك الله عبرة فيمن تقدم من جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيأ بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والصالحون لم يدخلوا علي فقال يا أمير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فاذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة فخرج يطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال اجب امير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه رقاماً مكتوبة فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فاخذه صاحب الشرطة وأتى به الى المنصور فلما رآه قال له ويلك أو تحسن السحر قال لا والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بنقله وأمر له بالف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي أطمعني ان اسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فانك انت المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فجد بفضلك

واحسانك على انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (وحدث) عبدالله البلتاجي قال دخل ابن أبي ليلى على ابي جعفر المنصور وكان ابن ابي ليلي قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضي يرد عليه من ظرائف الناس ووداهم امور فان كان ورد عليك شيء فحدثنيه فقد طال على يومي والله يا امير المؤمنين قد ورد على منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتني عجوز تكاد ان تنال الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقلت انا بالله و بالقاضي ان يا خذلي بحقي وان يعينني على خصمي قيت ومن خصمك قالت ابنة اخ لي فدعوت بها فجاءت امراة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضي مرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشيء فلترد على فان اذنت لي سفرت فقالت العجوز ان اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت ان يكون مثله الا في الجنه فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت اخي هل هل لك في التزوج قلت ما اكره ذلك يا عمتي قالت فعجوز نعم قالت فخطبني وجوة اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فنزوجني فكنا كانا نار بحانتان ما نظن ان الله خلق غيره يغدوا الي سوقه و يروح على ما رزقه الله تعالى فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حدثنا على ذلك وكانت لها ابنه فشوقتها وهاتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقالت يا عمتي هل لك ان تزوجني ابنتك فقالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط فقالت تصير امراة ابنة اخي الي قال قد صيرت امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ابنته وزوجت بنتها زوجي فكان يغدو عليها و يروح فقلت لها يا عمتي اتاذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلب عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسطه منزلها قال مالي اري ربيبتنا قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها عصيبتها فلما بلغني مجيئه الى تهيئات له وتشوقك فلما دخل على عزاني عصيبتي . ثم قال ان فيك بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك واكن على شرط قال لي وما الشرط قلت تصير امراة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة قال فقدم علي بقتله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فاقام عندي ما اقام ثم انه اعتل وتوفى فلما انقضت عدتي

جاء زوجي الاول الصيرفي يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت له وتشوقت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة انك تعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الى وقد حلت المراجعة فهل لك في ذلك قلت له لا اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت قلت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة اصلح الله القاضي فرجعت الي زوجي فما اعتدائي عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وانت فعلت مرة بعد اخرى فقلت ان الله لم يوقت في هذا وقتا وقد قال (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله) فواحدة بواحدة والبادي اظلم فقال القاضي ان زوج العمة لم يكن له ان يتزوج ابنة اخيها وهي في عدته فارادت العجوز ان تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها فقال لها قد فرقت بينكما قومي الى منزلك انتهى (وخطب) المنصور يوما بالشام فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في فاني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال اعرابي ان الله اكرم من ان يجمعك انت والطاعون علينا

(خلافة المهدي)

اسمه محمد بن المنصور حدثنا داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن علي بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدي القضاء وانزله منه تلك المنزلة الرفيعة قال ان خبره باتصاله المهدي ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله قد احببت قال اعلم انه وافي الربيع الحاجب حين افضت الخلافة الى المهدي وقال له استاذن لي على امير المؤمنين فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رايت لامير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرني له فقال الربيع يا هذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذا فقال ان لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني اليه واخبره اني سألتك الاذن لي عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدي فقال له يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس في انفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدي هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم انه راى لامير المؤمنين ايده الله رؤيا حسنا وقد احب ان يقصها عليك فقال المهدي يا ربيع اني والله ارى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي فكيف تكون ادعاؤها ممن لعله قد افتعلها قال والله قلت مثل هذا فلم يقبل قال الرجل

قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق
فقال له ما رأيت بارك الله فيك قال رأيت يا أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي فقال اخبر أمير
المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك انه يرى في ليلته الآتية في منامه كانه
يقلب يواقيت ثم يعدها فيجد ثلاثين ياقوتة كانها قد وهبت له فقال المهدي ما أحسن ما
رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان الامر على ما ذكرت
اعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا ربما صدقت
وربما اختلفت قال يا أمير المؤمنين فما أصنع انا الساعة اذا سرت الى منزلي وعيالي
واخبرتهم اني كنت عند أمير المؤمنين اكرمه الله ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدي فكيف
نعمل فقال يعجل لي يا أمير المؤمنين اعزه الله تعالى ما أحب واحلف له بالطلاق اني قد صدقت
فامر له بعشرة آلاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال
وقال له من يكفلك فمد عينه الى خادم حسن الوجه والزي وقال له هذا يكفلني فقال له
المهدي انكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا أمير المؤمنين فكفله وانصرف
سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة رأى المهدي ما ذكرت
له سعيد وأصبح سعيد فوافى الباب واستاذن فاذن له فلما وقعت عين المهدي عليه
قال له ابن مصداق ما قالت الناعلية فقال له وما راي أمير المؤمنين فتلكع في جوابه
فقال له امرأتي طالق ان لم تكن رأيت شيئا قال له المهدي ما أجراك على هذا الحلف
بالطلاق فقال لاني احلف على صدق قال المهدي فقد والله رايت ذلك مبينا فقال
سعيد الله اكبر فانجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني قال حبا وكرامة ثم امر له بثلاث
آلاف دينار وعشر تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من أنفس دوابه
محلات فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان كفله وقال سالتك بالله
هل لهذه الرؤيا من أصل فقال لا والله فقال الخادم وكيف وقد رأى امير المؤمنين
ما ذكرته قال هذا من المخاريق التي لا اب لها وذلك اني لما انبت هذا الكلام
خطر بباله وحدث به نفسه وامر به قلبه واشتغل به فكره ففي ساعة نام خيل لها
ما حل في قلبه واشتغل به فكره فنام فرآه فقال الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقت
واحدة وبقيت معي على اثنتين فازيد في مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف

درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فارهة فبهت الخادم وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد اصدقتك وجعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فأسترعلى ثم طلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات (ويحكى) ان المهدي خرج يتصيد فسار به سيره حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قري قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العزب اتدرى من انا قال يا اخا العزب اتدري من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال بارك الله في موضعك وناوله قعبا اخر ثم سقاه فشرب به فقال يا اعرابى اتدري من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكني امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال (وقيل) كان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكراً نا هدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت ست عشرة سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لتنال منها ارابه فنمنعت مرارا فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي القصر فمسكها وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس في نفسه هذا جزع الابكارة فتركها مدة فاتفق انه خرج من القصر ليلة فوجدها نائمة سكرى فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ودهمها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون انا هادم فلم يجز وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول

ونا هدة الثديين من خدم القصر ... مرقرقة الخدين لينة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها ... طويلا وما حب الكواعب من امرى
فما زلت بالاشعار حتي خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
لاطلبها شيئا فقالت بغيرة ... اموت به داء ودمعتها تجري
فلما نعانقنا . توسطت لجنة ... غرقت بها ياقوم في لجج البحر .

فصحت أغثني ياغلام فجاءني ... وقد لفت رجلي ورحت الى صدري
ولولا صياحي بالغلام وانه ... تداركني بالحبل رحت الى القبر
فاقسمت عمري لاركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية)قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير الهاقول فرأيت مجنونا فيه فلم أر قط اظرف منه ويده على صدره فلما دنوت منه أنشأ يقول

الله يعلم انني كمد ... لاأستطيع أبث ماأجد
روحان لي روح تملكها ... بلد وأخرى حازها بلد
وأري الصبابة ليس ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد

فقلت احسنت والله لله درك يامجنون فأهوي لشيء يرميني به فبعدت عنه فقال لي أنشأنك ماتحبه واستحسنته وتقول لي يامجنون وتكون مع الزمان علي فقلت له أخطأت فقال اذن اعترفت بخطأك ثم قال انشدك شعرا غيره قلت نعم فانشأ يقول

ماأقتل البين للمحب وما ... اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي على البلاء لقد ... اسرع في مهجتي وفي كمدي
ياحسرتي اذا بت مقتلا ... بين اختلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا فقال

ان فتشوني فمحرق الكبد ... أوكشفوني فناحل الجسد
أضعف ماني وزادني الما ... ان لست اشكو النوي الي احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يافتي أراك كلما أنشدتك بيتا قلت زدنا وماذاك الا لمفارقة حبيب او خل اريب ثم قال احسبك أبا العباس المبرد بالله ماهو أنت قلت انا فمن أين عرفتني فقال وهل يخفي القمر انشدني من شعرك ماتنتعش به روحي فانشدته

بكيت حتى بكى من رحمي الطلل ... ومن بكائي بكت اعدا اذ ارحلوا
يامنزلي الحي أين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ماسيقت الابل
أنعم صباحا سقاك الله من طلل ... غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة ... والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ماقد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يسعد والواشون قد غفلوا

قدغير الدهر ماقد كنت اعرفه   والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله   والبين أعظم مايبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق   والدمع منسكب والركب مرتحل
كأن قلبي لما سار عيسهم   صب به دنف اوشارب ثمل
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم   ونورها وسارت بالهوي الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها   ترنو الي ودمع العين منهمل
ياحادي العيس عرج بي او دعهم   ياحادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقك لاانسي مودتهم   ياليت شعري لطول العهد مافعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما أتممت شعري قال لي مافعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قدمات رحمة الله عليه انتهى

(خلافة موسى الهادي بن محمد)

لم ارفيه شيئا ومن راي فيه شيأ فليضعه (قال) بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من رأي شيئا فليضعه فرايت هذا النذر اليسير مذكورا في تاريخ الاسحاقي فاحببت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب السكردان ان الهادي كان يوما في بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه و بحضرته جماعة من خواصه واهل بيته فدخل عليه حاجبه واخبره ان بالباب بعض الخوارج له باس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادي بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما ابصر الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف احدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله و بقي وحده وهو ثابت على حماره حتي اذا دنا منه الخارجي وهم ان يعلوه بالسيف اوما الي وراء الخارجي يا يوهمه ان غلاما وراءه وقال ياغلام اضرب عنقه فظن الخارجي ان غلاما وراءه فالتفت الخارجي فنزل الهادي مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه وهم ينظرون اليه و يتسللون عليه وقد ملؤا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل فانظر الى هذا المقتدار في ثياب جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها احد الا نادرا (حكى) عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادي

من المجيد انه كان مغرما بجارية تسمي غادر وكانت من أحسن النساء وجهاً واطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع في قلبي اني أموت وان أخي هرون يلي الخلافه ويتزوج غادر فامضوا وائتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق به فقال لا أرضي حتي تحلف لي بكل ما احلفك به اني اذا مت لا تتزوج بها فرضي بذلك وحلف ايماناً عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضاً على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوي شهر وبات وولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف نصنع بالايمان فقال قد كفرت عنك وعني ثم تزوج بها ووقعت هي قلبه موقعاً عظيماً وافتتن بها اعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هي في بعض الليالي وهي في حجره نائمة اذ بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رايت اخاك الهادي الساعة في النوم فانشدني هذه الابيات

اخلفت عهدي بعدما جاوزت سكان المقابر
ونسيتي وحنثت في أيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح وصرتي حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكان الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة قال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد وما لقى بعدها اه

(خلافة هرون الرشيد بن محمد المهدى)

هو اخو موسى الهادى وهو الخامس من بني العباس (قال) ابراهيم الموصلي في تهنئة الخلافه عند ما ولى الرشيد بعد أخيه موسى الهادي

الم تران الشمس كانت مريضة فلما أتى هرون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه فهرون واليها ويحيى وزيرها

(وقدم) اعرابي حين ولى هرون الخلافة فقيل له فيم جئت قال أتيت برسالة قال ائت

بها قال اني آت في منامي فقال ائت أمير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش تزف اليك بابد عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى تميس ومالها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه وقد بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها اخوه وولد في تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزارته وسيأتي ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك (ويحكى) ان هرون الرشيد مر في بعض الايام وبصحبته جعفر البرمكي واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشراب واذا احداهن تقول

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت المنام كي استريح وتنطفي
نار تأجج في العظام دنف تقلبه الاكف على بساط من سقام
اما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولي قال ان كان كلامك صحيحا فامسكي المعنى وغيري القافية فانشدت تقول

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الوسن
كي استريح وتنطفي نار تاجج في البدن دنف تقلبه الاكف
على بساط من شجن اما انا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والاخر مسروق قالت بل كلامي فقال ان كان كلامك ايضا فامسكي المعنى

وغير القافية فقالت قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الرقاد
كي استريح وتنطفي نار تاجج في الفؤاد دنف تقلبه الاكف
على بساط من حداد اما انا فكما علمت فهل لوصلك من سداد

فقال لها والاخر مسروق فقالت بل كلامي فقال ان كان كلامك فامسكي المعنى وغير القافية فقالت قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الهجوع كي استريح
وتنطفي نار تاجج في الضلوع دنف تقلبه الاكف على بساط من دموع
اما انا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع

فقال امير المؤمنين أنت من اي هذا الحي قالت من أوسطة بيتا واعلاه عمود فعلم امير المؤمنين
انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اى راعى الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة
فقبلت الارض وقالت أيد الله امير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال
الخليفة لا بد من اخذها فتوجه جعفر الي ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا
وكرامة تهدي جاريه لامير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت
عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها
بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته
وعليه الكاية نهضت ودخلت الي حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست
ثياب الحزن واقامت النعى له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الي
الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسالها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين
قال كيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رأيتك هكذا ولم يكن لى من اخاف عليه الا
والدي لكبره وتعيش رأسك انت يا امير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها
فيه واقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين
(ويحكى) ان امير المؤمنين هرون الرشيد ارق ذات ليله فقام يتمشي في قصره
بين المقاصير فرأى جارية من جواره نائمة فاعجبته فداس على رجلها فانتبهت فرأته
أمير المؤمنين فاستحيت منه وقالت يا أمين الله ما هذا الخبر فاجابها بقوله

قلت ضيف طارق في ارضكم ... هل تضيفوه الى وقت السحر

فاجابته تقول بسرور وهناء سيدى ... اخدم الضيف بسمعى والبصر

فبات عندها الى الصباح فسال امير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل له ابو النواس
فامر به فدخل عليه فقال له هات على يا امين الله ما هذا الخبر فانشد يقول

طال ليلى حين وافانى السهر ... فتفكرت فاحسنت الفكر

قمت امشى في المجال ساعه ... ثم اجري في مقاصير الحجر

فاذا وجه جميل مشرق ... زانه الرحمن من بين البشر

فلمست الرجل منها موطئا ... فدنت مني ومدت لى البصر

واشارت لى بقول مفصح ... يا امين الله ما هذا الخبر

قلت ضيف طارق في أرضكم هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى اخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامره بصلة (ويحكى) ان هرون الرشيد هجر جارية له ثم اشتهاها في بعض الليالى في القصر سكري تدور في جانب القصر وعليها مطروف خز وهي بسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح ابان نهديها كانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلا فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لى علم بلقاءتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع أحدا يدخل على الا فلانة وانتظرها فلم تجى فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين. كلام الليل يمحوه النهار. فقام واستدعى الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاثة ابيات

اتسلوها وقلبك مستطار وقد منع الفرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما فتاة لا تزور ولا تزار
وأثنت تيها وقالت كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشد يقول

اما والله لو تجدين وجدي لما سمعت في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبري ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة من غير ضحك كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشد يقول

وخود اقبلت في القصر سكري ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداعن منكبيها من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتى فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل واحد بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولابى نواس بعشرة آلاف درهم (وذكر) الخطيب في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمي الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتي لم يرمن جسدها شيئا فاعجبه

ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا له ابونواس و بشار ليحضروا فقال ليقل كل منكما ابياتا توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول

تحببتكم والقلب صار اليكمو بنفسي ذاك المنزل المتحبب
اذا ادكروا الهجران لا عن ملامة وذكراهم ينتمي الى محب
وقالوا تحببنا ولا قرب بيننا فكيف وانتم حاجتي تتجنبوا
على انهم احلى من الشهد عندنا وأعذب من ماء الحياة واطيب

فقال احسنت ولكن ما أصبت ما في نفسي فقال انت يا ابى نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها الي ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت على عجل لتاخذ للرداء
رات شخص الرقيب على التداني فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل فظل الماء يجرى تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا أمير المؤمنين قال أمعنا كنت قال لا والله لكن شيء خطر ببالي فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه (ويحكى) أن امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فراشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على الاصمعى فخرج الطواشي الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا أحدا خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا أصمعى اريد منك ان تحدثني باجود ما سمعت من أخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبني سوى ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثني حديثهن فقال. اعلم يا أمير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا أقيل فلم اجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مرشوش وفيه دكة خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا

يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلاثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبري

عجبت ان زاد في النوم مضجعي ولوزارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى ومازارني في النوم الاخياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى بنفسي واهلي من اري كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس ياشيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونه. نعلم الشيخ أطال الله بقاءه انا ثلاث بنات اخوات جلسنا الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية علي بداوة وقرطاس فاحضرتها فانشدت اقول

احدث عن خود تحدثن مرة حديث امري ساس الامور وجربا

ثلاث كبكرات الصحاري جحافل حللن للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة من الراقدين المشتهين التغيبا

فبحن بما يخفين من داخل الحشا نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عزيزة وتبسم عن عذب المقالة انسبنا

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ولوزارني مستيقظا كان اعجبا

فلما انقضى مازخرفت وتضاحكت تنفست الوسطى وقالت تطربا

وزارني في النوم الاخياله فقلت وسهلا ومرحبا

واحسنت الصغري وقالت مجيبة باللفظ لها قد كان اشهى واعذبا

بنفسي واهلي من راي كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فلما تدبرت الذي قلن واتبري لي الحكم لم اترك الذي اللب معتبا

حكمت لصغراهن في الشعر انني رايت الذي قالت جميلا صوبا

قال الاصمعي ثم رفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص وتصفيق و دنيا دانية وقيامة قائمة فقلت ما بقي لي اقامه فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فقلت ومن اعلمك انني

الاصمعي فقالت ياشيخ ان خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوي فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها وأرادت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يااصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفاً أحمر في كف اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لي بصرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكومتك فقال لي ياامير المؤمنين لاى شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبري ولا للوسطى . فقلت له ياأمير المؤمنين ان بيت الكبري قالت

عجبت له ان زار في النوم مضجعي   وهو محمول معلق على شرط

قد يقع ولا يقع وأما الوسطى فمر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه و بيت الصغري ذكرت انها ضاجعته مضاجعة حقيقية وشمت منه انفاسا اطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو أعز من النفس فقال الخليفة أحسنت يااصمعي ثم دفع الي ثلاثمائة دينار فاخذتها وانصرفت فكنت أقول لله درك من شعر اخذت في حكومتي منه ثلاثمائة دينار وفي حكايته مثلها وهو اعلم (ومما حكى) عن الاصمعي في نوادره قال سهرت ليلة عند الرشيد في الرقة فقال لي من معك ياعبد الله يؤنسك فقلت ياأمير المؤمنين مالي انيس غير الوحدة فامسك واقبل في حديث ماشاء الله ثم نهض ونهضت من محضرتي فلما صرت الى منزلي واذا بخادم الامير يقرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جارية فلما رآني الخادم دنا مني وقبل يدي وقال لي يقول لك امير المؤمنين قد امرنا لك بمن يؤنسك وهي جارية من خواصه وشيء من المال فشكرت أمير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجارية ومعها من الالات والخدم والجواري والفرش مالم أر مثله الا عند امير المؤمنين ثم ودعي الخادم وانصرف فلما نظرت الي الجارية رأيتها احسن الناس وجها وأجملهم قدا وشكلا وظرفا واكثرهم مجونا فدخلني لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا الحياء البارد السمج الذي لا وجه له أين ملحك ونوادرك ثم قالت لجارية من الجواري هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون من الطعام فأكلنا وهي مع ذلك تباسطني وتؤانسني بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتني ثم قالت ما بقي بعد الاكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثياب ما أرادت

والبستني ثيابا فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا ثم اضجعت الى جانبي فلما جمعنا الفراش أصابني من الحصر وانقطاع الانعاظ والرخاوة ما لم أكن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد الا انكماشا وموتا فلما أعيتها الحيلة فيه ويئست من قيامه ومضى من الليل اكثره قالت عظم الله أجرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بقسط فاخرجت منه مناديل صغارا وحنوطا وقالت نم على ظهرك يا بطال فاستولى على الخجل حتى انى لم اقدر أخالفها في شيء مما تأمرني به في جميع ما تفعله في غسلته وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن في بكاء وتحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون ومازلن على ذلك الى وقت السحر ثم قالت ما بقى الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عني فقمت وانا أخزى خلق الله حالا ولبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتي الى الرشيد فانكر الحاجب حضوري في ذلك الوقت وأعلم الرشيد بي فاذن لي فدخلت وهو قاعد في مصلاه فقال لي ويحك ما دهاك في هذا الوقت فقلت يا أمير المؤمنين خبري عجيب وأمري غريب فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا ما رحمتني من هذه الجارية التي أنفذتها الي فلا حاجة لي بها فقال لي امير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذي دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد يستلقي على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجواري وغيرهن ثم قال نحن الى هذه أحوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه امر بحملها الي داره وعوضني عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حل معها في منزلي وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتي انه لم يتقدم عليها أحد من نظائرها وسميت من وقتها الاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم أجمعين (ويروى) انه لما دخل هرون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف سبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الي حاجبه منكرا فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف أمير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوي بين الامام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل (سواء العاكف فيه والباد . ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك راعه أمره فامر صاحبه بالكف عنه ثم جاء

الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم أتى الرشيد الى المقام للمصلى فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال أجب امير المؤمنين فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الى السعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا أخا العرب اجلس هنا بامرك فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت فاجلس وان شئت تنصرف (قال الراوي) فعظم ذلك على الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه وما ظن انه يواجهه أحد هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا اعرابي اريد أسألك عن فرضك فان انت قمت به فانت بغيره اقوم وان أنت عجزت عنه فانت عن غيره اعجز قال الاعرابي سؤالك هذا سؤال تعلم أم سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابي قم فاجلس مقام السائل من المسؤول قال فقام الرشيد وجثي على ركبتيه بين يدي الاعرابي فقال قد جلست فاسأل عما بدا لك فقال له اخبرني عما افترض الله عليك فقال له تسألني عن اي فرض عن فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة في طول العمر ام عن واحدة من اربعين ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم قال له سألتك عن فرضك فاتيتني بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة قال (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قال فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هرون ولم يقل له يا أمير المؤمنين و بلغ منه الغضب شديدا الا ان الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم انه هو الذي انطق الاعرابي بذلك فقال له الرشيد يا اعرابي ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب يا امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف قال فضحك الاعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال مم تضحك قال عجبا منكما اذ لا ادري ايكما اجهل الذي يستوهب اجلا قد حضر ام يستعجل اجلا لم يحضر قال فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابي أما سؤالك عما

افترض الله علي فقد افترض علي فرائض كثيرة فاما قولي لك عن فرض واحد فهو دين الاسلام واما قولي لك عن خمسة فهي الصلوات واما قولي لك عن سبعة عشر فهي سبعة عشر ركعة واما قولي لك عن اربعة وثلاثين فهي السجدات واما قولي لك عن خمسة وثمانين فى التكبيرات واما قولي لك عن واحدة في طول العمر فهى حجة الاسلام واحدة في طول العمر كله واما قولي لك عن واحدة من اربعين فهى زكاة الشياه شاة من اربعين واما قولي لك خمس من مائتين فهى زكاة الورق قال فامتلا الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الاعرابى وعظم الاعرابى في عينيه وتبدل بغضه محبة ثم قال الاعرابى سألتني فاجبتك وانا اريد ان أسألك فاجبني قال قل فقال الاعرابى ما تقول فى رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتني في بحر لم يخلصني منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شيء ولا ينبغي ان تعجز عن مسئلة فكيف عجزت عن مسئلتي وأنا رجل بدوي لا قدرة لي فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فأشتهى باكرامالي ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدري بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال اما قولي لك رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى امة غيره وقت الفجر فهى حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد اعجابه ثم امر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لى بها ردها الى اصحابها فقال انى اريد ان اجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك

قال الذي اجري عليك يجرى على قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم يقبل منك شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا نواتينا سنينا فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما ابغي لشيء ليس يبغى واتركه غدا للوارثينا
كاني بالتراب على يحثى وبالاخوان حولي نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقي وجلال ربي لينتقمن منهم اجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وساله عن أهله وبلاده فاخبرانه موسى الرضى ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزي اعرابي زاهدا في الدنيا وتباعدا عنها فقام اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ (الله اعلم حيث يجعل رسالته) وانصرف رحمة الله عليهم اجمعين (وقال) السجستاني أرق الرشيد ليلة فوجه الي الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وقال عللاني وابدأ أنت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبي بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقي واذا انا بجارية كانها قضيب ينثني واسعة العينين أزجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلناري ورداء عدني قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلالا من تحت القميص ثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن كالقراطيس ولها جمة جعدت بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر يزهر بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان وانف اقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز ورائحة تخطر على اكباد محبيها في مشيتها وقد خالط اصوات نعلها خلاخيلها فهي كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب اصابني عطش افتامرين بشربة من ماء تؤجرين عليها

قالت اليك عني ياشيخ فاني مشغولة عن الماء وادخارا زاد قلت لاي علة ياسيدتي قالت لاني عاشقة لمن لا ينصفني واريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقبا قلت ياسيدتي على بسيطة الارض من تريدنه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ماركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت ياسيدتي هل اجتمعتما في وقت من الاوقات ووجب حديث في هذا القرب فتنفست الصعداء وأرخت دموعها ثم انشات تقول

وكنا كغصني بان في كل روضة نشم جنى اللذات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فما من رأى فردا يحن الي فرد

قلت ياهذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت اري الشمس على حائطهم احسب انها هو ور عاأراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدي وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذريني فانت على ما بالك من الصبا وشغل البال بالهوي وانتحال الجسم وضعف القوي أرى ما بك من تغيير اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن مفتنة في ارض البصرة قالت والله قبل محبتي هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتنى هذا الغلام قلت ياهذه فما الذى فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شان من الشؤون وذلك اني كنت قعدت في نيروز ودعوت عدة من مستظرفات البصرة من النساء الجميلات وكانت فيهن لجواره جارية شيراز وكان شراؤها عليه من عمان بثمانية الاف درهم وكان بي ولعة فلما دخلت رمت بنفسها على تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا نتمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني والاعبها فتارة انا فوقها وهي فوقي فحملها السكر الى ان ضربت يدها الي تكتي فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي ملاعبه فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشماز لذلك وصدف عني صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين اسال جمعيته فلا ينظر الي بطرف ولا يكتب لي بحرف ولا يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قليلا فقلت لها ياهذه من العرب هو أم من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو أم شاب فنظرت الى شزرا وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد له

طرة كحلك الغراب لا يعيبه شيء غير انحرافه عني قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد في لقاءه فاتعرف الفضل بينكما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت اسمه ضمرة بن المغيرة و يكنى بابي السخاء وقصره بالمريد ثم صاحت في الديار ياجواري الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة سيدى ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبي عن تقصيري ودعائي ان دعوته هجنة ورعونة ولولا بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمك من كتابة هذه الرقعة معنى مع ياسها منك لعلمها تركك الجواب سيدي جد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الي الدهليز تحيي بها انفسا ميتة واخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذا كرها لها سيدي الست لك محبة مدنفة فان رجعت الى الايسة كنت لك شاكرة واعد خادمة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فاصبحت غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورأيت غلاما زان المجلس وفاق على من فيه جمالا و بهجة قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المريد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت اليه و بالغت في الدعاء له وناولته الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال ياشيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان تعود الى الديار قلت نعم فصاح في الدار اخرجوا الرسالة فاذا أنا بجارية خالوطية الكمين ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل من غير وحل فناولها الرقعة وقال اجيبي عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت ياشيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت يا امير المؤمنين واذا أجر رجلي حتى أتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت البؤس واليأس فقالت ما عليك منه فاين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار ثم جزت بعد أيام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فوردت على رقعة فاذا فيها بعد التسمية سيدتي ولا ابقائي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك و بسطت شطر عتبي عليك وسلكت ملامتي فيك اذا كنت الجانية على نفسك ونفسي والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى والله المستعان على ما كان

من سوء اختيارك والسلام واوقفتني على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال الرشيد لولا ان ضمرة سبقني اليها لكان لها معي شان من الشؤن انتهى (وحكى) مسرور الخادم قال ارق الرشيد ارقا شديدا ليلة من الليالي فقال يا مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن معمري العذري فقلت اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل معي الى ان صار بين يدي هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وأمره بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شيء من العجيبة قال نعم يا امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورايته اوما سمعته ووعيته فقال بل حدثني عما عاينته ورايته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل على بكلك واصغ الي باذنك قال فقصد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركشة بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقلت اعلم يا امير المؤمنين انى كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذ هي سؤلي وبغيتي من الدنيا وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالى هزني الوجد اليها فقمت وشددت رحلى على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست اطماري وتقلدت بسيفي وتنكبت حجفي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت اجد في السير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالي فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني النوم فاخذت بي الناقة علي غير الطريق التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا انا بشيء لطمني على راسي فاستنبهت فزعا مرعوبا واذا باشجار وانهار وماء واطيار على تلك الاغصان تترنم بلغاتها والحانها واشجار تلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتي واخذت زمامها بيدي ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري الى اين اذهب ولا الى اين ما تسوقني الاقدار فمددت نظري في تلك البرية فلاحت لى نار في صدرها فوكزت ناقتي وسرت طالبا الى ان وصلت الى تلك النار فتقربت منها وتأملت واذا

بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت فى نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فانى لا اري فى هذه البرية سواه ثم تقدمت خلف الخباء فقلت السلام عليكم يا اهل الخباء ورحمة الله وبركاته فخرج الى من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب انى اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدنى يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان ارضنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحدة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق فنزلت عن ناقتي وعلقتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من اطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها واججها ثم دخل الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا طيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوي على النار ويطعمني ويتنهد تارة ويبكى تارة اخري ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد يقول

لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
لم يبق في اعضائه مفصل الا وفيه سقم ثابت
فدمعه جار واحشاؤه توقد الا انه ساكت
تبكى له اعداؤه رحمة ياويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوي فقلت في نفسي انا في منزل الرجل واتهجم عليه في السؤال فردعت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغت من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشطا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير اطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوأ من الماورد الممسك فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسي ما اغرب الظرف فى البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الخباء وقطع بيني وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان علي من الثياب وبت ليلة لم ابت عمري مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر فى امر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت العيون

فلم اشعر الا بحس خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت سجاف المضرب
ونظرت فاذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها الى جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان الم الهوى
والصبابة والجوي وشدة اشتياقهما الي التلاقي فقلت يالله العجب من هذا الشخص الثاني
وهذا بيت فرد فاني لم ار فيه غير الفتي وليس حوله احد ثم قلت في نفسي لا شك ان هذه
الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها
فاذا هي انسية عربية اذا رمت تخجل الشمس المضيئة وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما
تحققت انها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما
اصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان علي من الفرض ثم قلت له يا اخا
العرب هل لك ان ترشدني الى الطريق فقد تفضلت علي فنظر الي وقال على رسلك يا وجه
العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذي يدعك الا بعد الثلاثة ايام قال فلما كان اليوم
الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته على اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة
وانا فلان بن فلان وعمي فلان فاذا هو ابن عمي يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت في بني
عذرة قال فقلت يا ابن العم ما حملك على ما اراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت
عبيدك واماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامي تغرغرت
عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم اني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها
لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابى ان يزوجنيها وزوجها الى رجل من
بني عذرة ودخل بها واخذها الي المحلة التي هو فيها من العام الاول فلما بعدت عني وحجبت
عن النظر اليها حملتني لوعات الهوي وشدة الشوق والجوي على تركي اهلي ومفارقتي
عشيرتي وخلاني وجميع امتعتي وانفردت بهذا البيت في هذا البرية والفت وحدتي فقلت
واين ابياتهم قال هي قريبة في ذروة هذا الجبل وفي كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل
تنسل من الحي سرا بحيث لا يشعر بها احد فاقضي منها بالحديث الذ وطر وتقضي هي
كذلك وها انا مقيم كذلك على هذا الحال اتسلى بها ساعة من الليل (ليقضي الله أمرا
كان مفعولا) او ياتيني الامر على رغم الحاسدين (او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين)
قال جميل فلما حدثني الغلام يا امير المؤمنين غمني امره وصرت من ذلك في حيرة لما
اصابني عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك ان ادلك على حيلة اشير بها عليك

وفيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذي نخشاه فقال لي قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاردفها على ناقتي فانها سريعة الرواح واركب انت جوادك وانا اركب بعض هذه النوق واسير بكم الليلة جميعا فلما يصبح الصباح الا وقطعت بكم بواري وقفار وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض الله واسع فضاها وانا والله مساعدك ماحييت بروحي ومالي وسيفي فلما سمع ذلك فقال لي يا ابن العم حتى اشاورها في ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة الامور فقال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطات عن عادتها فرايت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التي تهب من نحوها وانشد يقول

ريح الصبا تهدي الى نسيما　　من لذة الحبيب مقيم

يا ريح فيك من الحبيب علاقة　　افتعلمين من يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال يا ابن العم ان لبنت عمي في هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عني عائق ثم قال لي كن مكانك حتي آتيك الخبر ثم اخذ سيفه وجحفته ثم غاب عني ساعة من الليل ثم اقبل وعلى يديه شيء يحمله ثم صاح الي فاسرعت اليه فقال اتدري يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال فجعت في ابنة عمي في هذه الليلة فانها كانت توجهت الينا كعادتها اذ عرض لها في طريقها اسد فافترسها ولم يبق منها الا ما تري ثم انه طرح ما كان علي يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده واخذ كساء على يديه ثم قال لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده راس الاسد فطرحه على يده طلب الماء فاتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقبله ويبكي ويئن وزاد حزنه عليها وانشد يقول

الا ايها الليث المغمر بنفسه　　هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا

وصيرتني فردا وقد كنت الفها　　وصيرت بطن الارض لي ولها وطنا

اقول لدهر خانني بفراقها　　وغار عليها انا اكون لها حزنا

ثم قال يا ابن العم سالتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك الا حفظت وصيتي انك ستراني الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلني انا وهذا الفاضل من مشاش

الجارية في هذا الثوب وادفنا في قبر واحد وا كتب عليه ما يأتي

كنا على ظهرها والعيش في رغد والشمل مجتمع والدار والوطن

ففرق في الدهر والتصريف الفتنا وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رايت ذلك منه عظم علي وكبر عندي حتى كدت الحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما امرني من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما في قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت واقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين (قال) فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنة والله اعلم (حكاية اجنبية) قال اسحق بن ابراهيم الموصلي بينما انا ذات يوم في منزل وكان زمن الشتاء وقد افترشت السحب وتراكمت بالامطار بقطر كافواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر اذ لم ياتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامي احضر لي طعاما وشرابا فتنغصت ان لم يكن معي من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات واراقب الطرقات حتى اقبل الليل فتذكرت جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطالت ليلتي مما انا فيه من الفكر والقلق واذا بداق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب واقف * فقلت في نفسي لعسل غرس اليمنى ثمر فقمت الي الباب فاذا بصاحبتي وعليها مرط اخضر قد اتشحت به وعلى راسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيبة فقلت لها يا سيدتي ما الذي اتي بك في هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليها احد فقلت الحمد لله على جميع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطات علي ساعة كنت احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل بسخافة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء علي رجليها وتوليت غسلها ثم دعوت ببدلة من افخر

الملبوس فالبستها اياها بعدان نزعت ما كان عليها وجلست ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت
هل لك في الشراب فقلت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا ياسيدتي،
فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غني انت قالت ولا انا قلت فمن
يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت اطاعة لها الا اني آيس من اجد احدا في مثل هذا
الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا باعمي يختبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزي
الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوا وان سكت استخفوا فقلت امغن انت.
قال نعم قلت فهل لك ان تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدي فاخذت بيده
وسرت الى الدار وقلت لها ياسيدتي اتيت بمغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت علي به فادخلته
وعزمت عليه بالطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يديه وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاث.
اقداح ثم قال لي من تكون قلت اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت اسمع بك والان
فرحت فنادمتك فقلت ياسيدي فرحت بمن بشرك فقال غني يا اسحق فاخذت العود على
سبيل المجون وقالت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضي الصوت قال يااسحق قاربت ان
تكون مغنيا فصغرت على نفسي والقيت العود من يدي فقال ماعندك من يحسن الغناء
قلت عندي جارية قال مرها فلتغن فقلت تغني وانت واثق بغنائها قال نعم فغنت
قال ماصنعت شيئا فرمت العود من يدها مغضبه وقالت الذي عندنا جدنا به فان
كان عندك شيء فتصدق به فقال علي بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود
جديد فضرب في طريق لا اعرفها واندفع يغني هذه الابيات

سري يقطع الظلماء والليل عاكف حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الي الجارية شزرا وقال سر بيني و بينك ما وسعه صدرك ساعة واودعته
لهذا الرجل فحلف لها ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها وادغدغ ثديها واعض
خديها حتى ضحكت ثم التفت الي الاعمى وقلت غن ياسيدي فاخذ العود وغني هذه
الابيات الا ربما زرت الملاح وربما لمست بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل اعضعض تفاح الخدود المنكبا

فقلت لها ياسيدتي فمن اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال اني لحاقن فقلت

يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا في طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة ولا تدري في السماء صعدوا في الارض هبط ثم علمت انه ابليس وانه قادلي ثم انصرف فتذكرت قول ابن نواس حيث قال

عجبت من ابليس في كبره وخبث ما اضمر في نيته

تاه على آدم في سجدة وصار قوادا لذريته

(حكى) ان الخليفة هرون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال يا وزير ان صدري ضيق ومرادي الليلة نتفرج في شوارع بغداد وننظر في مصالح العباد بشرط ان لا يعرفنا احد من الناس وننزل بزي التجار الاكياس فقال السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة وقلعوا ما عليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا لباس التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا بالامر المقدر شيخا قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا يا شيخ نشتهي من فضلك واحسانك ان تفرجنا الليلة في مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بها فقال لهم الشيخ ومن يقدر على الفرجة والخليفة هرون الرشيد ينزل في حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه مناد ينادي معاشر الناس كافة جيد ورديء شيخ وصبي خاص وعام عبد وغلام كل من نزل في موكب بالليل وشق الدجلة ضربت عنقه أو يشنق على صاري مركبه وكانكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة فقال له الخليفة هرون الرشيد وجعفر البرمكي يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبوا من هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والله المستعان فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة اقبلت وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ اما قلت لكم يا ستار لا تكشف الاستار فقال هرون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ في قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة فدخل الى قبو ووضع مئزز اسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع يوقد فيها واذا في مقدم الحراقة مشاعل بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود القاقلي وعلى المشاعل قباء اطلس احمر بطراز مزركش اصفر وعلى راسه شاش موصلي وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلي وهو يوقد به عوض الحطب ومشاعلي آخر مؤخر

الحراقة مثله ومائتا مملوك واقفون ميمنة وميسرة وكرسي منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم كانه مسرور بسيف مشهور وعشرون نديما فقال الخليفة يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احدا ولادي اما المأمون اومحمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلي ينادي معاشر الناس كافة الخاص والعام والجيد والردي، والعبد والغلام جهاوات وغيرجهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج في الدجلة اوفتح طاقته حل ماله وضرب رقبته ومن لا يصدق يجرب (قال) فتامل الخليفة هرون الرشيد في الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال ثم التفت الي الوزير وقال ياوزيري قال لبيك يا أمير المؤمنين قال والله ما ابقى شيئا من شكل الخليفة وهذا الذي بين يديه كانه انت يا جعفر لا محالة والخادم الذي على راسه كانه مسرور وهذا وهؤلاء الندماء كانهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الامر فقال له الوزير وانا والله يا امير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين فعند ذلك اخرج الشيخ الشختور الذي فيه الجماعة من تحت القبوة وقال الحمد لله على السلامة الذي لم يصدقنا فقال الخليفة ياشيخ وهذا الخليفة ينزل كل ليلة في الدجلة قال نعم ياسيدي له على هذا الحال سنة كاملة فقال الخليفة ياشيخ تشتهي من فضلك واحسانك ان تقف لنا ليلة غد في هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن نازلون في الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة ثم ان الخليفة وجعفر ومسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبي الي القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد في مرتبته ودخلت الامراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناد قال الخليفة هرون الرشيد للوزير جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجو منشرحين الصدور وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقروا مع الشيخ المركبي واذا الخليفة الثاني في الحراقه وقد اقبلت عليهم فتأملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول

والمشاعلية تنادى على عادتهم فقال الخليفة ياوزير هذا شيء لو سمعت به ما صدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الشختور ياشيخ هذه عشرة دنانير وسر بنا فى مساواتهم فانهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فاطلق الشيخ الشختور في مساواتهم وسار في ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين فى اثرهم الى آخر البساتين واذا برز بيه بطول الحراقه التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين الندماء وزعقت المشاعلية والجاوشية واشتالت الغاشية وطلع هرون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاته فراوا ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم بين يدى الخليفة الثانى فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى جاء بكم في مثل هذا الوقت قالوا يامولانا اليوم كان وقدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشي الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاء هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثانى طيبوا قلوبكم فلا باس عليكم لانكم قوم غرباء واذا كنتم من بغداد لضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى ان وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قصر قام من التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وستر مسبول وفرش تذهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب هذان البيتان

قصر عليه تحية وسلام نشرت علية حماهم الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت فتحيرت في نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة في خدمته الى ان جلس على كرسي من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسي بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر الزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل رباطتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان ولايديهم غسلوا واحضرت له المدام ووضعت الطاسات والاوانى وصفت الاباريق والكاسات والفنانى ودار

الدور الى ان وصل الى الخليفة هرون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاي له مدة ما شرب فقال الشاب عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على بشراب التفاح ففي الحال أحضر فقدم بين يدي هرون الرشيد وقال كلما وصل الى الدور فاشرب من هذا ولا يزالون يشربون فى انشراح وتعاطى اقداح الى ان تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم ونموسهم فقال الرشيد لوزيره والله يا وزير عندنا آنية مثل هذه الانية فياليت شعري من يكون هذا الشاب فبينما هم يتحادثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يسارر الخليفة فقال المساورة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة الا ان رفيقي هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد ما رايت احسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانى هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الصاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وشدته وحنت اليه بعد ان ضربت اربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول وعادت الي الطريقة الاولي وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق　　يخبر عني انني لك عاشق

ولى شاهد من طرف قلبي معذب　　وقلبي جريح من فراقك خافق

وكم اكتم الحب الذي قد ذابني　　وقلبي قريح والدموع سوابق

وما كنت ادري قبل حبك ما الهوي　　ولكن قضي الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفه الثانى هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التى كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه البشخانة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطباري ونار الحب في كبدي　　والدمع مع مقلتي طوفانيه مدد

والله ماطاب لى عيش امر به   وكيف يفرح قلب حشوه كمد

(قال) فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانة على العادة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوي جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة فمتح الباب وخرج منه خادم ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست ومعها عود يذهل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم   ففؤادي وحقكم ماسلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا   ذاغرام متيسما في هواكم
قد براه السقام عن عظم وجد   يتمني من الاله رضاكم
يابدورا محلكم لا فؤادي   كيف اختار في المنام سواكم

قال فصرخ الشاب وشق ماعليه من الثياب فارخوا عليه البشخانة وأتوا ببدلة غيرها وعاد الى حالته الاولي مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسي جلسة تخلب العقول واخذت العود وغنت تقول

نري ينصرم حال التهاجر والقلا   و يرجع ماقد انقضي لى اولا
ايام كنا والديار تلمنا   فى طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا   من بعدها تيك المنازل والخلا
اتروم مني ياعذولي سلوة   واري فؤادي لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي   القلب من انس المحبة ماخلا
ياسادة نقضوا العهود و بدلوا   لا تحسبوا قلبي لبعدكمو سلا

(قال) فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوي والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشخانه على العادة فوقعت حبالها بالارادة فلاحت من هرون الرشيد التفاتة فنظر على اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظرة والتأكيد لجعفر انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عند احد منه خبر هل رايت ماعلى جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشخانه عليه على العادة واتى ببدلة غيرها فلبسها وقد افاق من غشيته فاستوي جالسا على العادة مع الندماء فحانت منه التفاتة فوجد جعفرا والخليفة يتحدثان فقال لهما

ما الخبر يا فتيان قال جعفر يا مولاي خير لا شك ولا خفاء ان رفيقي هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب ملوك واخيار وقال ان الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة اسراف عظيم لم ار احدا فعل هذا الفعل في هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شيء زايد في العيار فقال الشاب يا هذا المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعد انعامي على الخدم والحواشي فان كان كل بدلة شققتها هي لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد ذلك عند الوزير جعفر وقال

بنت المكارم وسط كفك منزلا ... فجميع مالك للانام مباح

واذا المكارم اغلقت ابوابها ... يوما فانت لقفلها مفتاح

(قال) فلما سمع الشاب من الوزير جعفر ذلك رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد يا جعفر اساله عن الضرب الذي رايناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابه فقال الوزير يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك والصبر اجمل فقال وحيات راسي وتربة العباس ان لم تساله اخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال مالك مع رفيقك وما الخبر فقال خير يا مولانا فقال سالتك بالله الا ما اخبرتني بخبره ولا تكتم عني شيئا من امره فقال يا مولاي انه ابصر على جنبيك اثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال يا لله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم فنعم. اعلموا ان حديثي عجيب وامري غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتكى وبكى وانشد

حديثي عجيب حاز كل العجائب ... وحق الاله قد عرف بالمواهب

فان شئتموا أن تسمعوا لي فانصتوا ... ويطرب هذا الجمع من كل جانب

واصغوا الى قولي ففيه اشارة ... وان كلامي صادق غير كاذب

لاني قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتي فاقت جميع الكواعب

لها مقلة كحلا وخد مورد ... ويقتلني منها قسي الحواجب

وقد حسن قلبي ان فيكم امامنا ... خليفة هذا الوقت ابن الاطايب

وثانيكم يدعى الوزير بجعفر ... حقيقة يدعى صاحب وابن صاحب

وثالثكم مسرورسياف نقمة فان كان هذا القول حقا بصائب
فقد فات ما ارجوا على كل حالة وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورون فضحك الشاب وقال الذي اعرفكم به انى ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمى علي بن محمد الجوهري وان ابى كان من الاعيان ومات وخلف لى اموالا لا تحصى كلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرجان وحمامات وغيطان وبساتين وفناديق وطواحين وعبيد وجوار وغلمان فلما كان في بعض الايام وانا جالس في دكانى وحولى الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت انت على بن محمد الجوهري فقلت لها نعم انا مملوكك وعبد رقك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى فقلت لها ياسيتى الذى عندي يحضر بين يديك فان اعجبك شيء يكون بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء منه فبسوء حظى وكان عندي مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منها وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندي عقد صغير شراؤه على والدي بمائة الف دينار ولم يوجد مثله عند احد السلاطين الكبار فقلت ياسيدتى بقى عند عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارنى اياه فلما رأته قالت هذا الذي طول عمري اتمناه ثم قالت بكم ثمنه في الاسعار فقلت شراؤه على والدي بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف زائدة فقلت لها ياسيدتى العقد وصاحبه في الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لا بد من الفائدة ولك المنة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت البغلة بسرعة وقالت ياسيدى نور الدين باسم الله قم صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معهن في امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة وعلي بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجيب هذه الابيات

الا يادار لا يدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسى الى ان يأتى الصيرفي فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت وقالت ياسيدي ادخل الى الدهليز فان

جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكه ساعة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى تقول لك سيدتى أدخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت وجلست حيث أمرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد وقعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلى وحار ذهني ولي من رؤية هذه الجارية وحسنها فلما راتني قامت من على الكرسي وسمعت نحوى وقالت يانور الدين هل رأيت جميلة مثلى فقلت ياسيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت ياعلى. اعلم انى أحبك وما صدقت بك الا لما صرت عندي ثم انها طوقت على وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتنى فلما علمت مني انى أريد أن أهم بها قالت ياعلى اتريد أن تجتمع بى فى الحرام والله ما كان يفعل الانام ويرضى يقبح الكلام فانى بكر عذراء مادنا مني أحد ولست مجهولة في البلد أتعلم من أنا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت أنا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى وأخى جعفر فلما سمعت منها ذلك جمعت خاطري عنها وقلت ياسيدتى مالى ذنب فى التهجم عليك أنت التي أطمعتيني في احسانك والوصول الى جانبك فقالت لا باس عليك ولا من الاحسان اليك فان أمري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد أن أكون لك وتكون لى ثم انها دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين على بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع لى هذا العقد مهري وأنا قد قبلت ورضيت ثم القاضى حمد الله تعالى وأثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد ان أعطت للقاضى شيئا بالحساب وأحضرت المدام وأحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى رؤسنا أمرت جارية عوديه ان تغني فانشدت تقول

قلبي وآمالى بباب رجاكمو	لا أبتغي فى الكون غير رضاكموا
ياجيرة جاروا على ببعدهم	حنوا علينا وارحموا مضناكموا
حاشاكمو ياسيدتى حاشاكمو	صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم	لا يستمع فيكم حديث سواكمو
مرسى اشتياقى فوق رضاكمو	فاذا شجاه حسنكم ناجاكموا

(قال) فاطربتنا الجارية بحسن غنائها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية ويشدون الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك أخذت العود الست دنيا وأنشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس ... انى لنار الهجر منك أقاسى

فارحم لصب في هواك مقيم ... يا بدر تم انت سيد الناس

انعم بوصالك كما بيت بليلة ... اجلو جمالك فى ضياء مكاس

مابين ورد جمعت الوانه ... مع نرجس ايضا وحن الاس

(قال) الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه الابيات

سبحان رب جميع الحسن اعطاك ... حتى بقيت انا من بعض اسراك

يامن لها ناظر تسبي الانام به ... خذي الامان لنا من سحر عيناك

فالماء والنار في خديك قد جمعا ... والو ردجوري نبت في وسط خداك

انت الغرام قلبي والنعيم له ... فما امرك في قلبي واحلاك

(قال) فلما سمعت مني ماقلت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا الى احسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان ونزعت ماعليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بكرا وفرحت بها فرحا لم اجده في عمري منها وفيها انشدت

ياليل دم لي لا اريد صباحا ... يكفي بوجه معانقي مصباحا

طوقته طوق الحمام بساعدي ... وجعلت كفي للمنام مباحا

هذا هو الفوز العظيم فمن لنا ... متعانقين فلا نزيد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والأهل والاوطان الي ذات يوم من الايام قالت يانور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير الي ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من موضعي فاخذت جوار بها وذهبت الي الحمام فوالله ياأخواني ما لحقت تخرج من راس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز واي عجوز وقالت يانور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على يمين ما اقوم من مقامى حتي تاتى الست دنيا فقالت العجوز يانور الدين لا تخل الست زبيده تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتى اليها والعجوز امامى الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يانور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك

فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لي شيئاً حتى أسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت عليه وأنشدت أقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيدي الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له في الظعن محبوب
استودع الله في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيناي محجوب
يرضى و يغضب ما أحلى تدلله	وكل مايفعل المحبوب محبوب

فقالت لي حفظ الله بدنك وطيب أنفاسك فلقد كملت في الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل ماتجيء اليك الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت العجوز امامي الى ان أوصلتني الي الباب الذي خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتني فجمعت رجليها ورفستني ورمتني من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الي الست زبيدة ووالله لولا خوفي من الهتيكة والفضيحة لخربت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلي وعصب عيني وأراد أن يضرب رقبتي فقامت اليها الجواري الكبار والصغار وقلن لها ياستاه ماهو باول من أخطأ وما عرف خلقك وأنت ماتبغضينه ومافعل ذنبا يوجب أن تقتليه فقالت والله لابد ان أؤثر فيه أثرا ثم انها أمرت بضربي فضربت على أضلاعي الضرب الذي رأيتموه وأمرت باخراجي فأخرجوني وأبعدوني عن القصر ورموني ورجعوا وتركوني فلممت نفسي ومشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الي منزلي واحضرت جراحا اوريته الضرب فلاطفني وسعى في معالجتي فلما صح جسمي دخلت الحمام و زالت عني الاوجاع والاسقام وجئت الى الدكان وأخذت جميع ما فيها و بعته وجمعت ثمنه واشتريت أربعمائة مملوك ماجمعهم أحد من الملوك يرجع معي في كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسي بالخليفة ورتبت من معي من الخدم كل واحد في وظيفته وناديت كل من تفرج في الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولي على هذه الحالة سنة كاملة ولم أسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها ... ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لي الا محبتها ... فكيف حال الذي قد بات ناعيها
وصيرتني حزينا ساهراً دنفا ... والقلب قد حار مني في معانيها

(قال) فلما سمع هرون الرشيد كلام الشاب وما أبداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شيء سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف واضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين والى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب ياوزيري علي بالشاب فخرج اليه بالحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر أجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة ورأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز وأثنى عليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك وأنشد يقول

لازال بابك كعبة مقصودة ... وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادي في البلاد بأسرها ... هذا المقام وأنت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام وأظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه وأجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثني بحديث الليلة يا مسكين فانه من أعجب الامور فقال الشاب العفو يا أمير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدأ روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب يتحدث بالذي جرى له من أوله الى آخره فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لا محالة فقال الخليفة أتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشد

ان رمت احسانا فهذا وقته ... أو رمت معروفا فهذا حينه

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر أختك الست دنيا بنت الوزير.

يحيي فاحضرها فقال لها أتعرفين من هذا فقالت أين من النساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يادنيا كم عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الي آخرها والامر لا يختفي وان كان مستورا فقالت كان في الكتاب مستورا وانا أستغفر مما جرى واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقدله ثانيا عليها وحصل له سعد السعود وجمله نديمه وزاد تسكريمه وعاش بقية عمره في اهنا عيش ونعمة يجالس الخليفة في الليل والنهار وتؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التخليص والله اعلم

(حكى والله أعلم بغيبه واحكم) ان الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير ياأمير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي ياجعفر فقال له قم بنا الآن حتى نطلع فوق سطح هذا القصر ونتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل .

كأنما احسن السماء وزرقها قد رقمت فيها أفانين الصور
فكأنما البدر حين لاح لنا في بعض ليل من غلائل قد ظهر

فقال الرشيد ياجعفر ما تلفت نفسي الى شيء من ذلك فقال ياامير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كأنها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة غنت وغنت وقد حدت تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام ياامير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال ياجعفر ما تلتفت نفسي الى شيء من ذلك فقال ياامير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال ياجعفر ما تلتفت نفسي الى شيء فنتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالياو هذا يقول دو بيت وهذا يعمل كيت وكيت فقال الرشيد ما تلفت نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم ياامير المؤمنين حتى تنزل الي الاصطبل الخاص وتنظر الي الخيل العربيات

وتتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر واخضر وأبلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تلفت نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة الى مغنية الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد عجزت عن اجازة هم مولاي فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح امتي ثلاث ان يري بعينه شيأ ما رآه أو يسمع شيأ ما سمعه أو يطأ مكانا ما وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان ما وطئناه اوشيء ما سمعناه او موضع ما رأيناه فقال جعفر أتأذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ أبي الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما راي امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار وانشد

دام لك العز والبقاء ما اختلف الصباح والمساء
ودمت ما دامت الليالي بمدة مالها انقضاء
الناس ناس بكل ارض وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث عجيب ما لم نسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشيء سمعته باذني او بشيء رايته بعيني قال رشيد يا شيخ ابا الحسن التي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي ثلاث اشياء منك فقال ماهي الثلاثة فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير المؤمنين لي عادة اني اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد سليمان الزيني واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد عليه الاشعار ولي عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لي في سنة من السنين اني سافرت الى البصرة على عادتي ودخلت على

الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله واوصى ارباب دولته بخدمتي واكرامي الى ان يعود واوصى الطباخ الذي لا يطعمني الا شيئا تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لي من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لي الاكل حتي ثقل على فؤادي فقلت مايصرف عني هذا الا المشي ولي عدة اسفار الي البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حجة وفرحة ثم اني نزلت اتمشى في شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت في نفسي ان تناولت شربة من السقاء لا طيب نفسي لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الي شاطىء الدجلة وقلت مالي الان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من ماء فاتيت الى درب فيه خمسة دور داران مقابلتان لدارين ودار صدرانية قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف عصائب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدثر ومكتوب عليه هذه الابيات

الا يادار لا يدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسي من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا وقائلا يقول

بالله ربكما عرجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما مابال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفه ماضرلو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس تعرفه

(قال) فقلت ياحبذا ان كان قائل هذا الصوت شخصا صورته على قدر صوته واحتشمت. ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الي الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومددت طرفي واذا انا بدار قد اقبلت منه عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت في صدر المكان ايوانا وبركه وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جاريه نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم

تربية العجم على اكتاف الخد بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل و ردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قيل بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها الشحم حتى دار اعكنها طي القباطي فلا سمن ولا غور
كانها فرغت من ماء لؤلؤة في كل جارحة منها من حسنها قمر

الان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها طبيب وهو يجس يدها ويقول باسته بدور الضار بـ ضارب والساكن ساكن ولا يردو لا حمى ولا شيء تشتكيه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لعل الست في قلبها هوي من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوي لطفت مدامعي بالذي اخفي من الالم
فان ابح افتضح من غير منفعة وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده من طول وجد و دمع غير منصرم

(قال) فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من اين يا شيخ فلقت لها من بغداد حملني العطش الى ان اتيت الى هنا فقالت لعل ان يكون على يدك فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسال عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رددت على الجواب فانا اعطى لك خمسمائة دينار ثم كتبت وهي تقول اما بعد بعجز لساني و بكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسال الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم وحبكم فرض ومامنكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ماذ كرتكم جري فوق خدي لا يطاق له رد
فوالله ما احببت ماعشت غيركم ولا كنت الا ما حببت لكم عبد
سلام عليكم ما امر فراقكم فلا كان منكم ماجري آخر عهد

اما بعد فهذا كتاب من ليلها في تحييب ونهارها في تعذيب لا تركن الي عاذل ولا يصغى الى قائل قد غلبتها ايدى المراق ولو شرحت بعض ماعندها للفسيح ضاق وماوسعته الاوراق ولكن اسال الله الكريم الخلاق ان يمن علتلاق وانشدت

احبة قلبي وان جرتمو على فكل المنى انتم رحلتم وفي القلب خلفتمو
لهيبا مهلا ترفقتمو واودعتمو يوم ودعتمو باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا على سؤم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ماحن الغريب الى الاوطان فرحم الله من قرأ كتابي وتعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا مارق دمعي لفرقتكم يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي بعدكم جلد ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوي كذبا ولست اول من بانت غواشيه

(وقال) ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولته اياه فاخذته واتيت الي دار الامير عمرو فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى قيصر من أولاد الابجر الذي كان لعنتران طلب الحق وان طلبت لم يلحق والامير في ظهره كانه البدر في منزلته والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد أحمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال

قمر تكامل في نهاية حسنه مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياق جبينه والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكانما حسن البرية كلها من عنده

(قال) أبو الحسن فما أمهلته دون اقبلت ركابه فلما نظرالي ترجل واعتنقني واخذ بيدي وأدخلني الدار وأنشد يقول

ماظن الزمان ياتي بهذا غير اني رأيته في منامي

(قال) فلما جلس على البركة اقبل على يحدثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام مادرج وتطاير في الاسحار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج خمر وافراخ رضع وبعلبكات السكر فقال لي بسم الله كل ياشيخ ابا الحسن فقلت لا والله يامولاي ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال ياابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست بدور فقلت ياسيدي وماهي الست بدور فقال التي جئت من عندها تطلب شربة من الماء منها

ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ماهو كيت وكيت فقلت يامولاي اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا فلاي شيء كتبت الكتاب فقلت لوجاء احد من عندها واعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك اليها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندي فقلت ياسيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون　　ترى ما لا يراه الناظرون

واجنحة تطير بغير ريش　　الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يامولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب على فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست بدور وانا احب اليك منها وانشديقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة　　باذنه وهو منقاد لها سارى

فقلت اعجوبة ثم التفت اري　　ما بين نابه ملقى نصف دينار

فقلت للشاة ماذا الالف بينكما　　والذئب يسطو بانياب واظفار

تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة　　بالتبر يكسر ذاك الضيغم الدار

(قال) فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسقحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى ان قرب الغروب فقال يا ابا الحسن ما لذة الامير اذا شرب الي المساء من غير غناء فقلت يقال الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الي مجلس وحضيرة تنغظ بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبق ازهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو ثم اجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الي مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يامولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاث جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية تحمل دفا والثالثه تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرة الزامرة

بزمارها فخيل لي ان المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

احبابنا انني من يوم فرقتكم على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم عسي يفيق من الاصقام مانفعا

فوالله ياامير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى وانشدت

امؤنس طرفي لا خلا منك ناظري وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكن قلبي ومافيه غيره يحل فما استوحشت فيه لمؤنسي
وبالله ياعين الوري من ملاحة تصدق على صب من مصبر مفلس
انلني الرضي حتي اغيظ به العدا ويا موحشي من بعدما كان مؤنسي
رضاك الذي ان نلته نلت رفعة والبسني في الناس اشرف ملبس

(قال) والله ياامير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية نحو الدفية وقالت لها يافلانة تحسني ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا اظن انك لا تحفظين لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا قالت العودية هات ماعندك فنقرت الدفية على دفها بانا ملها ورفعت صوتها وهي تقول كررت وردد كرهم في مسمعي فهم الشفا لتألمي وتوجعي

اقصر بعذلك ياعذول فان لي قلبا لعذلك لايفيق ويعي

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هات فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة واربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الي الطريقة الاولى وانشدت تقول

ان لم اسل وادي الاسيل بادمعي اعلم باني في الصبابة مدعى
ياسعد ان جئت الغوير وعاينت عيناك بان المنحنى فلترجع
وخذ الحذار من العذول المختفي واحذر يصيدك لحظات البرقع

(قال) والله ياأمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غني لي عن الذي بقلبي وحدي فعندها اسارت عودها وقالت

ماكنت اول رامق صبا صبا نحو التصابي وهو في عشر الصبا
فعلام يعذلني العذول على البكا لولا الغرام لها غدوت معذبا

حكم الهوي بحكمه في مهجتي ... ولقد غدا قلبي به متقلبا

ياللرجال حبا الهوي بحشاستي ... ناراً فما تحبو على ذاك الخبا

ولقد سبا قلبي غزال لورأت ... بلقيس طلعته لما سكنت سبا

ولقد هربت من الغرام فقال لي ... مهلا رويدا أين مني تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع على الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يامولاي انه قد نام سيدي فان اخترت ان تنام فقم نم في مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الي الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسالت عن الامير عمرو فقالت بعض الجوارى انه قد سرح الي الصيد والقنص فاخذت شاشا لابسه فرايت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها واقفة خلف الباب ينتظرو هى تقول

يارسولى الى الحبيب اعتذر لى ... فلعل الحبيب يقبل عذري

ثم قل للحبيب عني بلطف ... اي ذنب جري فاوجب هجري

فلما راتني قالت ياشيخ اقمح ام شعير فقلت لا والله ماهو الا روان والله مارضي يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب ياابا الحسن مامضى الليل وانى النهار على شي الا وازاله وغيره ويغير الله ما فى القلوب ثم انها اغلقت الباب في وجهي ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده اياما واخذت رسمي وعدت الى بغداد ثم اني في السنة الثانية سافرت الى البصرة على ماجرت العاده به ومضيت الي الامير عمرو بن جبير الشيبانى لانمتع بذلك الوجه المليح والقدر الرجيح فوجدت الدار متغيرة الاثار والعبيد لابسين السواد فلما رايت ذلك بكيت وانشدت اقول

يادار اين ترحل السكان ... وسرت بهم من بعدها الظعان

بالامس كان بك الضيا مع الهنا ... واليوم فى عرصاتك الغربان

فسمعني بعض الغلمان فنظر لى وقال من ذا الذي يبكي على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ماعندنا فقلت له ياعبد الخيران صاحب هذه الدار كان من اصدق الناس الى فما فعل الزمان به فقال لى الغلام يامولاي هو في قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذ لي الطريق فقال لي الغلام يامولاي من اقول

فقلت ولى الشيخ ابو الحسن الدمشقى المسامر قال فعبر الغلام وغاب ساعه وعاد وقال لى بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمر نائما وعند رأسه طبيب وهو يجس يده ويقول له يامولاى الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكى غير سهر الليل وجريان الدمع فلما سمع الامير عمرو وكلام الطبيب بكى وانشد

قال الطبيب لقومى حين جس يدي　　هذا فتاكم ورب البيت مسحور

فقلت ويحك قد قاربت فى صفتى　　عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كتابا فيه بعضه دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم التفت عمر الى وقال ياشيخ ابا الحسن اما تنظر الى هذا الحال الذي وقعت فيه فقلت لك حاشاك من الاسواء ما سبب ذلك قال ما اعرف له سببا الا ان هجر الست بدور قد قتلني وحبها اضني فؤادي فقلت يامولاي العام الماضي تركتك اميرا واليوم اتيت لقيتك اسيرا فما السبب فقال الامير عمرو ياشيخ انى في ليلة من الليالى ركبت فى الشط وقد شحنت مركبى من سائر الازهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام واوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا فى البسط وبقينا فى لعب وضحك الي ان ثلث الليل الاول واذا قد اقبل من صدر الشط مركب وهى تعزف بالطارات والدفوف وتضيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح قدم بنا حتى نتفرج وننظر اينا احسن تعبية مركبنا او هذه المركب فمددت عينى فرايت صاحبتى الست بدور وهى بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهى مثل اسمها اسم على مسمي فلما وقعت عيني عليها كانما رمت فى قلبي سهما فقلت في نفسى مافرقت هذا الوجه المليح يذنب ثم انى تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم اقدر اصبر فمددت يدي واخذت تفاحة ورميتها الى الست بدور فالتفتت فرأتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البرنحن خرجنا هذه الليلة ننشرح فارسل الله هذا الفتى يبغض علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمنى اضرمت النار في قلبي ثم قلت لنفسى انت كنت المطلوب ثم فصرت الطالب فلم يهنأ لي عيش فى هذه الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم انى نزلت ومضيت الى منزلى وماذقت طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لى قرار وصرت اترقب ان ياتى احد من عندها ثلاثة ايام فلم ياتى لى احد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم تردلي جوابا وقدرميت

روحي على كل كبير في البصرة فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولي مدة انتظرك
ياشيخ ابا الحسن حتي ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هي ردت لك جوابه اعطيتك
الف دينار وان لم ترد جوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة وقرطاس
وكتب في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكوا اليك الصبابة
ويسألك بالله ان تردى جوابه بعد فانه يعجز لساني ويكل جناني مما انا فيه من طول
السهر ودوام الفكر وبكى لبكاء صم الحجر فالف الف لا اوحش الله منك والسلام عليك
ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته واتيت به الى الست بدور فلقيت الباب على غير تلك
الحالة الاولي عليه ستر مرخى وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس
خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم اني تقدمت الى الخادم وقلت له قم
ياوالدي ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع
الدمشقي يطلب الدخول فغاب ثم عاد وقال بسم الله ادخل فدخلت فسمعت الست بدور
وهي تقول ولاصبرن على الزمان وجوره حتي يعود كما أريد وأشتهي
قال فلما دخلت رأيتها قاعدة على حالة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت
وقبلت يديها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من
تحت الغلالة كانها عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات
اقبلت فى غلالة زرقاء لازوردية كلون السماء فتأملت في الغلالة التى
قمر الصيف فى ليالى الشتاء ليتني كنت للمليحة عقدا أو برقعا للوجه مثل الرداء
أو قميصا من الحرير خفيفا لاصقا للفؤاد والاحشاء ضربتني بخنجر العشق حتى
صرت ملقى مخضبا بدمائى تركتني على الطريق ونادت من يصلى على قتيل هوائى
ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ما
كان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت بسم الله كل يا أبا الحسن فقلت
لا والله ما أكلت لك طعاما ولا شربت عبدك مداما حتى تقضي حاجتى فقالت كان
هذا من الاول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك الى الامير عمر وقبل مجيئك
الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ما عبرت عنده ولقيت
الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجري لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى

عمامتك وبالامارة قال لك ان ردت الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد لي الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت ياستي من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

وانا ياشيخ ابا الحسن اعشق منه واري اكثر ممن يراه فقلت صدقت يامولاتي كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وعرفته ثم انها مزقته وبسقت عليه وداسته ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا بذاك وقرض الدين لي بدله من وفاء الا اني حصل لي بعض غيظ الالف دينار التي تفوتني فنظرت الي وعرفت مني ذلك فقالت ياشيخ ابا الحسن مم غيظك ان كان وعدك بالالف دينار فبت الليله عندي وكل واشرب والتذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامض في وداعة الله فقلت ياسيدتي يكاد الامير عمر وان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت ياشيخ تعرف لعب الشطرنج قلت ما العب الا على الحكم والرضا فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجواري ان يرموني في البركة فمسكوني ورموني في البركة وضحكت علي ساعة ثم اخرجوني وقد ابتلت جميع حوائجي فلما راتني على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من افخر الملبوس فلبست ثم قالت انلعب ايضا على الحكم والرضا قلت نعم فلعبنا فتغايرت عليها وابت لها بحكاية لطيفة مشغلة واشغلها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس واطرقت راسها وكتبت تقول

الا يا عمر وكم هذا العناء وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الي تشكو ما تلاقي من الاسقام اذ نزل القضاء

فسقم لا يزال بطول دهر وداء ماله ولو ساعدتنا يا عمر ويوما الساعد ذاك اذا نزل البلاء فعش صبا ومت كمدا حزينا فواحدة بواحدة جزاء فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت ياستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي الامير عمر واكتبي له غير هذا فقالت ياشيخ انت رسول والا فضولي وطفيلي فقلت فضولي وطفيلي وينبغ التغلظ ويحلف انه ما يبيت الا في الوسط ويغني بليت يكم فضحكت الى كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت ياست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبينها للامير عمر فلو ابصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسي من الاسقام والالام والامراض

فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شيء به من المرض فقلت ياسيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز على ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي جعل اجتماعنا على يديك ثم دعت بقرطاس وكتبت في اول الكتاب بسم الله ثم انها ابتدأت تنشد

وصل الكتاب فلا عدمت انامِلا   عنيت به حتى تضوع طيبا
ففضته وقراته فوجدته   يخفي اوجاع القلوب طبيبا
فكان موسى قدا عيد لامه   اوثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ماعليه من مزيد وما مولها من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد واقول

اشتاقكم حتى اذا نهض الهوى   لمقامكم قعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي   فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيه فتاة المسك والطيب وطوته وختمته وناولتني اياها فاخذته وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمر وقد دخلت الدهليز فسمعته يقول

تري حرمت كتب المحبة بيننا   ام صار القرطاس اصبح غاليا

فاستاذنت عليه ودخلت فلما راني قال لي اقمح ام شعير فقلت له قمح منقى بل ليس فيه ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه فلما فهم معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علي حتى انه   من عظم ما قد سرني ابكاني
ياعين قد صار البكا لك عادة   تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغ من البكاء قلت ياشيخ ما اظن ان الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك يامولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذا هي عبرت علينا تخطر في قوامها وهي تنشد

نزوركم لا تؤاخذكم بجفوتكم   ان الكريم اذا لم يستزر زارا

فلما راها الامير عمر ونهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية ثم تقدمت الى الامير عمر وقلت له يامولاي المثل يقول العصفور يتقلى والصياد يتقلى وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت بدور صدق

الشيخ اعطه الذي وعدته به فقال الامير عمر ولبعض غلمانه اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار يستحق والله اكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني اياه واعطتني الست بدو رمثله ثم اني ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد ابن سليمان الزينبي وقعدت عنده على عادتي واخذت رسمي الذي عليه في كل سنة وعدت الى بغداد فما رايت سنة ابرك منها حصل لي فيها اربعة آلاف دينار وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت الذي ازلت عني ما بقلبي فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه هو الذي ازال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى ثم انه قبض الالفي دينار ومضى الى منزله والله اعلم

(وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد)

والقصة في ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحق عن ابي نوزر زاهر بن صقلاب قال بلغني انه كان هرون الرشيد يجلس بالليل مع جعفر البركي فقال له يوما لا يطيب لي ذلك الا بحضور اختي ميمونه ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك عليها لاباحة النظر من غير ان يقربها فاتفق على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي امراة تزين له الجواري كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد كنت اسالك ان تساعدني على مودتك فتابى فلما آيست منك احتلت عليك بما رايت في هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببا في سبب نعمتك وهل انت الا زوجي فقال لها جعفر ويلك اهلكتيني واهلكت نفسك وكان كما قال ولم يزل بها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا ابتداء الحديث (قال) المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيي بن اكثم القاضي قال سالت اسمعيل بن يحيي الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك اني كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن نسير اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لي يا اسمعيل لمن هذا فقلت هو لاخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من معه في موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره فقال يا اسمعيل ما فعل

جعفر وموكبه فقلت ياسيدي قدمضى اخوك في طريق ولم يعلم بموضعك فقال مارآنا اهلاالا ان يزيننا بموكبه و يجملنا بجيشه فقلت العفو ياامير المؤمنين لوعلم بمكانك ماتعداك وماسار الابين يديك واعتذرت بما حضرلى من الكلام ثم سرناحتى انتهينا ضيعة عامرة ومواشي كثيرة وعمارة حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرناحتى وردناباب القرية فنظر الرشيد الى البيدر والى كثرة الغلال فيه والمواشي و يسارا هلها فالتفت الى وقال يااسمعيل لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرناولم يزل يمر بكل ضيعة اعمرمن الاخري وكلما مروسالني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى حتى سرناو وصلناالى المدينة فلماار دت وداعه والانصراف الى منزل نظر الى من كان حواليه نظرة فعلمواماارادفتفرقوا وبقيت اناوهو فقال يااسمعيل قلت لبيك ياامير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا واغلقنا امرهم فقلت في نفسي بلية والله قلت لماذا ياامير المؤمنين قال نظرت لهؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانى لااعرف لاحدمن اولادي ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد علي قرب هذه المدينة فكيف بما هو لهم غير ذلك علي غيرهذا الطريق في سائر البلدان فقلت ياامير المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكون لك فنظر الى نظرة جبار عنيد ثم قال ماعد البرامكه بني هاشم الاعبيدهم وانهم هم الدولة وان لا نعمة لبني العباس الا والبرامكه انعموا عليهم بها فقلت امير المؤمنين ابصر من غتره بخدمه ومواليه فقال والله يااسمعيل انك لتعلم انى قلت هذا وكانى اراك ان تعلمهم بكلامى فتتخذلك عندهم وانى آمرك ان تكتم هذا الامر فانه ماعلم به احد غيرك ومتى بلغهم شيء مماجري علمت انه ماافشاه الاانت فقلت ياامير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلى يفشي سرك قال وكان هذا القول اول ما ظهر من امر البرامكه ثم ودعته وانصرفت متفكرا في ايقاع الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان فى محل يشرف على الدجلة من شرقى مدينة باب السلام و بازائة منزل جعفر من الجانب الغربى وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون في كل يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يااسمعيل هذاماكنافيه بالامس انظركم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ماعلى باب دارى احد فقلت ياامير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من

هذا وان جعفرا انما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون وانما بابه باب من أبوابك فقال يا اسمعيل انظر الى دوابهم الست ترى اعجازهم الى قصري وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف بعينه والله لا أصبر على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلا غيظا فامسكت عن الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته في الانصراف ورجعت الى منزلى فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وأنبلهم واوضحهم وجها واكملهم ظرفا كاتبا حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليه انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من اجله الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي علينا اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لى في الكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الغلام بايام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكرا بالنهروان وضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر فقلت يا سيدى انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فاوصيت ببعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الى مغضبا وقال والله يا اسمعيل ماا كل الخبز الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا اما كفى انى تركته لا يهتم بامر شيء من امر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملات بيوت امواله اموالا ولا زلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته واخترته لولدي وداخله حسد بنى هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع والله لان سألنى شيأ من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا سيدى ما كان مما ظننت شيء ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلي ولم اركب اليه ولا الى الرشيد لانى صرت بينهما في حال تهمة وقلت في نفسي هذا الخليفة وهذا وزيره واي شيء لي بالدخول بينهما ولا شك في زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال وحدثنى خادم ام جعفر

ان الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد بما كان بيني و بينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرا الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكراً في ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل في اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكا لها ما في قلبه واطلعها على الكتاب الذي رفعه اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تملكت الحجة عليه بالغت في المكر بهم واجتهدت في هلاكهم وكان الرشيد يتبرك بمشاورتها فقال اشيري على برايك الموافق الرشيد فاني خائف ان يخرج الامر من يدي ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت من غرقتك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولي اسمع منك فقالت ان هذا الامر اخفاه عنك وزيرك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن نحضر ارجوان الخادم وتشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفر محلا لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم في السفر والحضر وابرز اليه جواريه واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوي امراته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا دخل عليها ولا قضى لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد وعزم على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فخطت على جعفر انه يدخل على الحريم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهن لانهن لا يستترن منه وكان ذلك بامر الرشيد ما حدث من جعفر قال فخرج الرشيد واستدعى بأرجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من المنصور ان لم تصدقني في حديث جعفر لاقتلتك فقال الامان يا امير المؤمنين قال نعم اعلم ان لك الامان فقال اعلم ان جعفر قد خانك في اختك ميمونة ودخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ستة سنين والاخر له خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذهما الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول على اهل بيتك وامرتني ان لا امنعه في اي وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتني

اول مرة ثم امر بضرب عنقه على الفور ودخل على زبيدة وقال لها أرأيت ما عاملني به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم فقالت هذه هي شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة جبار في نفسه ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من جمع بين النار والحطب فخرج من عندها مكروبا ودعا بخادمه مسرور وكان قاسي القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد العتمة ائتني بعشرة من الفعلاء جلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة جاء مسرور ومعه الفعلاء فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعاتبها على ما فعلت وامر الخادمين بادخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها ووضعها بحليها وثيابها كما هي والقفل عليها وقد علمت انها بعد قتل ارجوان لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعي الفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا واوسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسي ثم قال حسبكم هاتوا الصندوق فدلوه في تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس في موضعه والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم في جواليق وخيط عليهم بعد ان ثقلهم بالصخر والحصى ورماهم في وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجرتهم فدفع اليه مفتاح البيت وقال احفظه حتى أسألك عنه وامض الآن فانصب في وسط المحل القبة التركية ففعل ذلك واوفاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد فلما جلس في مجلسه وكان يوم الخميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تتباعد عني ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيي البرمكي فسلم عليه فرد عليه السلام احسن رد ورحب به وضحك في وجهه فجلس في مرتبته وكانت اقرب المراتب الى امير المؤمنين ثم حادثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحي فقراها عليه وامر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذن جعفر في الخروج الى خراسان

في يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضي من النهار قال ثلاث ساعات ونصف واخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر في نجمه فقال يااخي هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولااري الا انه يحدث فيها حدث ولكن تصلي الجمعة وترحل في سعودك وتبيت في النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من اليوم فمارضي جعفر بما قاله الرشيد حتي اخذ الاضطرلاب من يد المنجم واقام واخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال والله صدقت ياامير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس ومارايت نجما اشد احترافا ولا اضيق مجري من البروج في مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الي منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويعجلونه الي ان وصل الي قصره في جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس فلم يستقر به المجلس حتي بعث اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتني به الساعة وقل وردت كتب من خراسان فاذادخل الباب الاول اوقف الجند واذادخل الباب الثاني اوقف الغلمان واذادخل الثالث فلاتدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذادخل في صحن الدار فمل به الى القبة التركية التي امرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتني براسه ولاتوقف احدا من خلق الله على ما امرتك به ولا تراجعني في امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك ويأتيني براسك وراسه جمله وفي دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل ان يبلغه الخبر من غيرك فمضي مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدي اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع منه وقال ويلك يامسرور انا في هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال وردت كتب من خراسان يحتاج ان تقراها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها وتقلد بسيفه وذهب معه فلمادخل من الباب الاول اوقف الجند وفي الثاني اوقف الغلمان ومال به الى القبة المضروبة في صحن الدار وادخله فيها فحس بالبلاء وقال لمسرور ماالخبر قال انت تدري ما القضية وما كان الله ليهملك ولا ليغفلك فقد امرني امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل راسه اليه الساعة فبكي جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ورجليه ويقول يااخي يامسرور قد علمت لك كرامتي دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك متقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من امير المؤمنين وما يوحيه الى من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عني باطلا وهذه مائة الف دينار

احضرها لك الساعة قبل ان اقوم من موضعي هذا وخلني اهيم على وجهي فقال لا سبيل الى ذلك أبدا قال فاحملني اليه واوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره على تداركه الرحمة فيصفح عني قال مالي سبيل الى ذلك ابدا ولا يمكنني مراجعته وقد علمت انه لا سبيل الى الحياة أبداً قال فتوقف عني ساعة وارجع اليه وقل له قد فرغت عما امرتني به واسمع ما يقول وعد فافعل ما لم يرد فان فعلت ذلك وحصلت الى السلامة فاني اشهد الله وملائكته اني اشاطرك في نعمتي مما ملكته يدي واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع في الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل اربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفي يده القضيب المولع ينكت به الارض فلما رآه قال له ثكلتك امك ما فعلت في امر جعفر فقال يا أمير المؤمنين قد انفذت امرك فيه قال فاين راسه قال في القبة قال ائتني برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي اخذه وضرب عنقه واخذ راسه بلحيته فطرحه بين يدي امير المؤمنين وهو يشخب دما فتنفس الصعداء و بكى بكاء شديدا وجعل ينكت في الارض اثر كل كلمة و يقرع اسنانه بالقضيب و يخاطبه و يقول يا جعفر الم احلك محل نفسي يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدي ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور ولا تفكرت في صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب والعجم يا جعفر اسأت الي والي نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور وانا واقف بين يديه وهو ينكت في الارض في كل كلمة ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم التفت بوجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح ما فيه ووجه مسرور الى المعسكر فاخذوا جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقي منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم في البلاد ولم يقدر احد منهم على كسرة خبز وحبس اباه يحيي واخاه الفضل في مطمورة وامر بجثة جعفر فصلبت على احد

ببغداد ثم بعث الي خراسان ان يوطن بلادها وامر الناس فرزوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر علي بن عيسي بن هامان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فاتي بالصبيين ولدي جعفر من اخته ميمونة فادخلا عليه في بيته فلما رآهما اعجب بهما وكان في نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفي الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال للكبير منهما ما اسمك يا قرة عيني قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يا حبيبتي قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز علي حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدريا ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعلت بالمفتاح الذي دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فائتني به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا في البيت حفرة عميقة ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما في تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكي بكاء شديدا حتي ظننت انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذكر البرامكة في مجلس ولا يستعان بمن بقي منهم في المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم في البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقال ان صاحب السر حملها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في الوقت بالفضل بن يحيي وضربه سياطا حتي كاد ان يهلكه وزاد في حديده واغلاله ثم استدعي بيحيي وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا وكان قد نشا في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الي الرشيد يستعطفه ويساله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم الي امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الي الضيق بعد السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب كاس الموت مترعة وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكري فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر وليله دهر قد عاين

الموت مراراوشارف الهلاك جهارا ياامير المؤمنين قداصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك وكان في يدي عارية منك ولا باس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجراءته عاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق. واما الفقير فاذكر ياامير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان افوز رضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين. ويري الخليفة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشد يقول

قل للخليفة ذي الصنا ئع والعطايا الفاشية وابن الخلائف من قريـ
ش والملوك العالية راس الامور وخير من ساس الامور الماضية
ان البرامكة الذيـ ن يرموا اليك بداهية عمهمو لك سخطة
لم تبق منهم باقية فكانهم مما بهم اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة باديه مستضعفون ومطردون
بكل ارض قاصيه بعد الامارة والوزارة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها فوق المنازل عالية اضحو وجلو مناهموا
منك الرضا والعافية يامن يريد لي الردي يكفيك ويحك ما بيه.
يكفيك اني مستبا ح عترتي ونسائيه يكفيك ما ابصرته
ذل وذل مكانيه فلقد رايت الموت من قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الـ كبيرة والدموع الجارية ومقالها يتفجع
ياسواتي وياشفائيه من لي وقد غلب الزما ن على جميع رجاليه
يالهف نفسي لهفها ما للزمان وماليه اوماسمعت مقالتي.
ياذا الفروع الزاكية ياعطفة الملك الرضا عودي علينا ثانية

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات

يا آل برمك انكم كنتم ملوكا عاتيه فعصيتموا وطغيتموا تي.
وكفرتموا نعمائيه هذي عقوبة من عصي من فوقه وعصانيه
اجري القضاء عليكموا ماخنتموه علانية من ترك نصح امامكم
عند الامور البادية

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وليس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى (ثم) ان الرشيد نذر الحج فحج وخرج معه العسكر وكان خروجه في رمضان فكانت تضرب لهم السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الي سرادق والناس محدقون به حتى وصل الي الحرم وحج فاتفق ان يحيى مات في السجن فكتب رقعة واوصى ولده الفضل ان يوصلها الي الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم في الحساب اذا التقينا غدا يوم القيامة من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد انفذها اليه الفضل فلما قراها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا لفرجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين (قال بعض البرامكة شعرا)

ان البرامكة الكرام تعلموا فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا لم يهدموا مما بنوه اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقيني وانت سقيتني من مر هجرك من جنابك كاسا
آنستني متفضلا افلا ترى ان انقطاعك يوحش الايناسا

(وسئل) اسحق الموصلي عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل ففعله يرضيك واما جعفر فقوله يرضيك واما محمد فيفعل ما يجد (وفي يحيى يقول القائل)

سالت الندى هل انت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثني من والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل) اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة رايت بها عشب السماحة ينبت

فليس بسمال اذا سئل حاجة ولا بمكب في ثري الارض بنكت

(و في محمد يقول القائل)

سالت الندي والجود مالي أراكما تبدلتما عزا بذل مؤيد
ومابال ركن المجد أمسى مهدما فقالا أصبنا في ابن يحي محمد
فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

(وذكر) الحافظ السيوطي ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد ان لا يوجد أحد من العظماء الا وللبرامكة عليه كرم بماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب وتكرر منه كثيرا في ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر بقولهم تبرمك فلان (ومن) كرم جعفر انه تكرم في يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة (ومن) كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تاديبه وتعذيبه (ولما) وقع بهم من الامر ما أوقع الرشيد صار امرهم الي ماسيوصف من الفقر والذل والاهانة (فمن) ذلك ماقاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على أمي في يوم عيد اضحي فرايت عندها عجوزا في اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكي بن يحي فسلمت عليها وقلت لها أصار بك الدهر الى ماارى قالت نعم يابني ان الذى كنا فيه كان عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثيني ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسي اربعمائة وصيفه وانا ازعم ان ابني عاق لى وقد جئتكم اليوم أطلب جلدي شاة اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم (ومن) قول يحيي بن خالد لابنه جعفر يابني مادام قلمك يرعف فامطره معروفا (ومن) كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا بغضت انسانا من غير سبب فتوق شره (وقال) يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما باد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحا مكتوبا فيه هذه الابيات

يامنزلا لعب الزمان باهله فاباده بتفريق لايجمع
اق الذين عهدتهم فيما مضى

كان الزمان بهم يضر و ينفع　　اصبحت تفزع من رآك وطالما　كنا اليك من احوف تصرع

ذهب الذين يعاش في اكنافهم　　و بقى الذين حياتهم لا تنفع

(قال) فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة تحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيي وذلك انه خرج يوما للصيد والقنص وهو في موكبه اذ رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية بركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجم الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه أمير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله و بركاته قال اخفض عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الان قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب من قضاعة قال من ادناها ام من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق الي ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك لم يقصد ثمانمائة فرسخ الى العراق الالشيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وحطير ولكل منهم خاصة وعامة فهلا افردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب المناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال اغاديب انت قال لا قال افعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال هل ردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو كما عرفتك عنه من الجلالة باي ذريعة او وسيلة تقدم عليه قال والله يا أمير المؤمنين ما قصدته الا لاحسانه المعروف و بكرمه الموصوف و بيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه وان يصلحان ان تلقاه بهما برزتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لا تستحق بشعرك

شيئاً قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فانى أقول

الم تران الجود من عهد آدم تحدر حتى صار يعطه الفضل
ولو ان اماً مسها جوع طفلها غذته باسم الفضل لاغتذي الطفل

قال احسنت فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر واخذ الجائزة عليهما

قال اكون قد كان آدم حين حان وفاته اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم وافرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

قال احسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدنى غيرهما ماتقول وقد رمقتك الادباء بالابصار قال اقول

ملت جها بذ فضل وزن نائله وملّ كاتبه احصاء مايهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه يري المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله لصلى على مال الامير واذنا

حسنت فان قال لك هذان البيتان مسروقان قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا لنادي باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت وجداك من رمل عالج لاصبح من جدواك قد نفد الرمل

قال حسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل واني لذاك الصب والباذل الفضل
علي ان لى مثلا كما ذكر الورى ليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل انشدنى غيرهما ماتقول قال اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحي سماحة خالد فقامت به التفوي وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا أخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدنى بيتين على الكنية لا على الاسم فماذا تقول قال اذن اقول

الا يا أبا العباس يا واحد الوري ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك تسير الناس شرقا ومغربا فرادي وازواجا كانهم نحل

قال احسنت، ياخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ماسبقني اليها عربي ولا اعجمي ولئن زادني بعدها لاجمعن قوائم ناقتي هذه واجعلها في حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالي فنكس الفضل راسه وقال اسمعني الابيات الاربعة قال

اولائمة لامتك يافضل في الندى فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر

اتنهين فضلا عن عطاياه للغني فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر

كان نوال الفضل في كل بلدة تحدر هذا المزن في مهمه قفر

كان وفود الناس في كل وجهة الي الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فامسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال ياأخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ماشئت فقال سالتك بالله اميرالاميرانك لهو قال نعم قال فاقلني قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة آلاف درهم قال الفضل اذدريت بنا وبنفسك ياأخا العرب تعطى عشرة آلاف درهم وامر بدفع المال فلماصار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يامولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يامولاي الااخذت سهما من كنانتك وركبته في كبد قوسك وأومأت به الى الاعرابي فان ردت عن نفسه ببيت من الشعر والااستعطفت مالك ويكون له في بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه في كبد قوسه وأوما الى الاعرابي وقال له رد سهمي ببيت من الشعر فانشا يقول

لقوسك قوس الجود والوتر والندي وسهمك سهم العز فارم به فقري

قال فضحك الفضل وانشا يقول

اذا ما املكت كفي منالا ولم انل فلاانبسطت كفي ولانهضت رجلى

على الله اخلاف الذي قد بذلته فلا مسعدي بخلي ولامتلفي بذلي

اروني بخيلا نال مجدا ببخلة وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم ليكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك ياعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك ياكاسه

التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها اليه فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شيء يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعيان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتماجنوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة ازعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك فقال له في الحال والله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (ويحكى) ان الرشيد امر بقتل ابي نواس فقال اتقتلني شهوة لقتلي فقال لا بل انت مستحق للقتل قال فيم استحقيت القتل قال بقولك

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

فقال يا امير المؤمنين افتعلم انه سقاني وشربت فقال له امير المؤمنين اظن ذلك فقال يا امير المؤمنين افتقتلني على ظن وقد قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت ايضا ما تستحق به القتل فقال ما هو فقال له قولك

ما جاءنا احد يخبر انه في جنة من مات او في نار

فقال له هل جاءنا احد قال لا قال اتقتلني على الصدق فقال له الرشيد اولست القائل

يا احمد المرتجى في كل نائبة كن سيدي نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين او صار القول فعلا قال لا اعلم قال افتقتلني على ما لم تعلم فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) فقال الرشيد خلوا عنه فقال

نحن الذي الكتاب مخبرا　　بعفاف انفسنا وفسق الالسن

(وعن) محمد بن نافع قال رايت ابا نواس في النوم بعد موته فقلت يا ابا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هانيء قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بابيات قلتها في علتي قبل موتي هي تحت الوسادة فسالت اهله فقلت هل قال أخي شعرا قالوا لا نعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مكتوب فيها

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة　　فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن　　فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
مالي اليك وسيلة الا الرجا　　وجميل عفوك ثم اني مسلم

(معن بن زائدة الشيباني) كان من الكرماء وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر واقام مدة الدخول فلم يتهيا له فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرا هذا فاذا فيها هذا البيت مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي　　فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع من الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة ألف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل بمثل ذلك فتفكر الرجل وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله　　وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره　　من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا　　كانك تعطيه الذي أنت آمله
هو البحر من أي النواحي أتيته　　ولجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه　　أراد انقباضا لم تطعه أنامله
ولو ان ما في كفه غير نفسه　　لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معني دعني اهب الاموال حتي اعف الاكرمين عن اللئام (ويروى) ان معن ابن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فراى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من اين اتيت قال اتيت من ارض قضاعة واني لي بها ارضا لها عدة سنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعتها اتاة فطرحت في غير وقتها فجمعت منه ما استحسنته وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور فقال له كم املت منه قال الف دينار فقال ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال مائتي دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين دينار قال ان قال لك كثير قال افلا اقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل قوائم حماري في حرامه وارجع الى اهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتي لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل بي على فاتى بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلاله وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذى اتى بك ياخا العرب قال املت الامير واتيته بقثاة في غير اوانها قال فكم املت فينا قال الف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني على مشؤما ثم قال خمسين دينار قال كثير قال افلا اقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال ياسيدي ان لم تعطني الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها انا مع معن جالس فضحك معن حتي استلقى على قفاه ثم استدعي بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابي وتسلم الفي دينار ومائة وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم اجمعين (وقيل) كان معن ابن زائدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيأ من المال مع غلمانه فلم يجده فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمائل

الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيا من الابيات

فقالت الاولى يركب في السهام نصول تبر ويرمى للعدا كرما وجودا

فللمرضي علاج من جراح واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية ومحارب من فرط جود بنانه عمت مكارمه الاقارب والعدا

صيغت نصول سهامه من عسجد كي لا يفوته التقارب والندى

وقالت الثالثة ومن جوده يرمى العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها

لينفقها المجروح عند انقطاعه ويشتري الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة (فمن) ذلك انه سعى رجل في افساد دولة المهدي وكان من الكوفة فعلم به المهدى فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر في بغداد فبينما هو في بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادي هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا أبا الوليد اجرني أجارك الله فوقف فقال للرجل الذي تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبة أمير المؤمنين أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه فاردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بيني و بين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان أتى قصر المهدي فامر المهدي باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن أولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يعيش ثم سار الى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن اتجير علينا عدونا قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم أيضا واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين بالامس بعثني الى اليمن مقدم الجيش فقتلت في طاعتك في يوم واحد عشرة آلاف رجل ولي مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتموني أهلا ان أجير رجلا واحدا استجار بي ودخل منزلي فسكت غضب المهدي وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال معن فان رأى أمير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضا فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال عجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة

أمير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله في أرضه فما كل مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا وأخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى (وكان) معن لا يغيظ أحدا ولا أحد يغيظه فقال بعض الشعراء أنا أغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان أغاظه أخذها وان لم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من نعل الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدى معن على هذه الصورة المشوهة ومد رجليه في وجهه وقال

أنا والله لا ابدي سلاما ... على معن المسمى بالأمير

فقال معن السلام لله ان سلمت رددت عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك (فقال الشاعر)

ولا أنزل بلادا أنت فيها ... ولو جزت الشام مع الثغور

فقال له البلاد لله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله في عونك (فقال الشاعر)

وارحل عن بلادك الف شهر ... أجد السير في أعلى القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة (فقال الشاعر)

اتذكر اذ قميصك جلد شاه ... واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولا انكره (فقال الشاعر)

وتأوي كل مصطبة وسوء ... بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما أنسيت ذلك يا أخا العرب (فقال الشاعر)

ونومك في الشتاء بلا رداء ... وأكلك دائما خبز الشعير

فقال الحمد لله على كل حال (فقال الشاعر)

وفي يمناك عكاز قوى ... تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصي موسى (فقال الشاعر)

فسبحان الذي اعطاك ملكا ... وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك (فقال الشاعر)

فعجل يا ابن ناقصة بمال ... فاني قد عزمت على المسير

فامر له بالف دينار (فقال الشاعر)

قليل ما أمرت به فاني ... لاطمع منك بالشيء الكثير

فامرله بالف دينار أخري (فقال الشاعر)

فتلك اذا ملكت الملك رزقا ... بلا عقل ولا جاه خطير

فامرله بثلثمائة دينار (فقال الشاعر)

ولا ادب كسبت به المعاني ... ولا خلق ولا رأي منير

فامرله بار بعمائة دينار (فقال الشاعر)

فمنك الجود والافضال حقا ... وفيض يديك كالبحر الغزير

فامرله بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتي استكمل الفي دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي أن يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهان عليها فى نظير اغاظته فامرله بمائة بعير يدفعها في نظير الرهان وبمائة أخري لنفسه فاخذها وانصرف والله اعلم

(خلافة المأمون بن الرشيد واسمه عبد الله)

(روي) بعض اهل الادب ان فتي من اهل الكوفة قد فلق اهل زمانه في الادب والفصاحة فضاق صدره وعيل صبره فخرج الي بغداد واكتري في بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكه اوملكه وتربص لذلك ان يري وجها الى ان عزم المأمون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المأمون بالاستعداد ليوم سماء ليخلوا فيه مع الجواري فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل في ذلك على المأمون واخيه المعتصم فمضي الي اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخنجرا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير اني رسول امير المؤمنين واستأذن لى عليه فسعي الحاجب عدوا حتي اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له سيدي ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول انسيت الوعد الم يتقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يوما هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة تتم نومه لا تقوي بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الان ايها الامير فانه

امرني ان لا أفارقك حتي آتيه بك فامر المعتصم باسراج مركوبه واسرع في التاهب ولبس ثيابه وتطيب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيئا من كلام الفتى و يتامل للطافته وهيأته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص المامون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشي بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيئا و يظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر في مجلسه جلس الفتى بين يديه وهو منهمك في نوادره وأخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه واخبر المامون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال المامون اخي قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي ان يحضره احد من الناس الا من هو عديل النفس وقد احسن اخي اذ جعل لنا ثالثا فان المجالس اذا لم يحضره اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى ما لا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع في نفس المامون نهض قائما فقبل يد المامون وعاد الى مجلسه وأخذ في نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن اخباره وغرائب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المامون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتي غلب على قلب المامون واظهر الحسد لاخيه في صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المامون باحضار المائدة فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وأمر المامون باحضار الجواري من غير ستارة فحضرن واخذن في الغناء فما من صوت يمر الا والفتى عارف به و بالغناء ومتي قيل وفيمن قيل فعزفي عين المامون حتي ملاعينه وتزايد حسده لاخيه في صحبة مثله فمس الفتى بول ولم يجد للمدافعة سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه و يتواصفان امره وحاله اذا خلا المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المامون لاخيه المعتصم يا ابا اسحق من صاحبك هذا فوالله ما رايت رجلا قط اكثر منه فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاءني مبكرا برسالة امير المؤمنين فقال المامون سالتك بالله يا اخي اهو كذلك فقال اي والله الذي لا اله الا هو فقال المامون طفيلي ورب الكعبة وغضب وامر الجواري بالتهوض فنهضن واقبل الفتى راجعا فلما نظر

الى خلو المجلس من الجواري والى تغير وجه المامون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه على المعتصم وقال يا ابا اسحق كاني بك قد اخذت في نوع الزور والبهتان وما هكذا وعدتني ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد الناس مثل ما بليت من هذا لانه دائما ابدا يعرضني لمثل هذا واشباهه ويغري بي ويوقعني في كل ورطة من ملاعبتك التي لا تحتمل وتودي الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتي بهذا وامثاله حتى شك المامون في امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سالتك بالله يا اخي بحياتي عليك الا ما اعلمتني بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت اعرفه أو رأيته قط الا في يومي هذا فقال الفتى كذب والله يا امير المؤمنين لقد كنت معه دهري الطويل وفي موضع كذا وكذا وان هذا فعله معي ابدا فضحك المامون تعجبا وقال ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان تصدقني فصدقه الحديث على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة الجواري الى مجالسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المامون اخبرني باعجب ما لحقك في قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما فقال

نبينا انا راقد في البيت مكتئب ... مفكر في حصول الكد والقوت

وليس في البيت لي شيء الم به ... وبي من الجوع ما يدني الى الموت

اذا بصوت بباب الدار اسمعه ... والاذن مصغية مني الصوت

ناديت من ذا الذي ارجوه لي فرجا ... نادي أنا فرج زن لي كرا البيت

فضحك المامون حتي استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجابه وقال ثم ماذا قال يا امير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبني بالكراء فوعدته بان يرجع الى مرة اخري فمضى ومضيت على وجهي لا اعلم اين ابوجه فسالت كل من لقيته من صديق لي كنت استانس به فخطر على بالي بيتان من الشعر

في ذلك وهما غريب الدار ليس له ... صديق جميع سؤاله ابن الطريق

تعلق بالسؤال لكل شخص ... كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا امير المؤمنين على جارية كانها البدر ليلة كماله وهي تقول

ترفق يا غريب فكل حر ... يمر بحاله سعة وضيق

وكل سلمة انت فيها ... صبر به لها انيح الطر

ثم قالت خذ هذه وادفع بها فاقتك فوالله ماهي الا مواساة من قوت ورمت الى صدري القرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فوري فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت بالباقي وهذا ما حملني على ما فعلت وانشأ يقول

كم آت فعلا غير مستحسن جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكنني في حالة اوجبت ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المامون امره واستحسنه وامر له بمائة الف درهم يصلح بها شانه والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه وآخر خارج من عنده واول داخل اليه وسمي طفيلي المعتصم وانشد للمامون يقول

كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذا حضر يوم سرور المامون لم يكن للمامون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الي الدار التي اشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من فعل بغداد من مباشريها وقدمات ولم يخلف ولدا سوي تلك الجارية وماماتت حتي تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرها والله اعلم (وسرق) شاب سرقة فاتى به الى المامون فامر له بقطع يده فتقدم لتقطع يده فانشد يقول

يدي يا امير المؤمنين اعيذها بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا راحة بها اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة على راسه فبكت وقالت يا امير المؤمنين انه ولدي وواحدي فانشدتك الله الا رحمتني وهدأت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المامون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق له المامون وعفا عنه (وفي حياة الحيوان) قال رايت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من الايام فراي رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب

الي ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الي الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو قد كتب هذه البيتين

ياقصر جمع فيك الشؤم واللؤم　　متي يعشش في اركانك البوم

يوما يعشش فيك البوم من فرحي　　اكون اول ماينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فمثل بين يدي امير المؤمنين والله اعلم عما كتب فقال له المامون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا امير المؤمنين قد مررت عليه الآن وانا في غاية من الجوع والفاقة فتوقفت متفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة اوخشبة اومسمارا ابيعه واتقوت بثمنه اوما علم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء في دلة وامريء　　نصيب ولا حظ تمني زوالها

وماذاك من بغض له غير انه　　يرجي سواها فهو يهوي انتقالها

فقال المامون ياغلام اعده الف درهم ثم قال لي هي لك في كل سنة مادام قصرنا عامرا باهله مسرورا بدولته وانشدوا في معني ذلك

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا　　فعما قليل انت ماض وتاركه

فكم دحت الايام ارباب دولة　　وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

ويقال ان المامون شرب يوما ومعه القاضي بن يحيي بن اكثم فمال الساقي على القاضي حتى وقع سكران فامر المامون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتين شعرا وقال لمغنيته خذي العود غني على راسه فغنت وقالت

ناديته وهو حي لا حراك له　　مزمل في ثياب من رياحين

فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني　　فقلت خذ قال كفي لا يوافقني

فاستيقظ يحيي لرنة العود والجارية تغني البيتين فقام وقال

ياسيدي وامير الناس كلهم　　قد جار في حكمه من كان يسقيني

سقاني الراح لم يمزج سلافتها　　حتي بقيت سليب العقل لا الدين

(قال) الواقدي كان ابراهيم بن المهدي ادعى لنفسه الخلافة بالراي واقام مالكها سنة
واحدي عشر شهرا واثني عشر يوما وله اخبار كثيرة (فمما حكاه) قال لما دخل المأمون
الري في طلبي أذهل على الطلب وجعل لمن دل عليه وأتاه به مائة الف درهم نخفت على نفسي
وتحيرت في امري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما ادري أين أتوجه
فمررت بدقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون
وخفت ان رجعت على أثري تملموا بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا اسود قائما على باب
داره فتقدمت اليه وقلت له عندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب
فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر نظيفة و بسط ومخدات جلد ثم انه أغلق على الباب
ومضى فخشيت ان يكون سمع الجعاله في حقي وانه عرفني ومضي ليدلهم على فبقيت مثل
الحبة في المقلاة قلقا ميتا من الخوف فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج
اليه من لحم وخبز وقدر جديده وجرة وكيزان جدد ثم التفت الى وقال جعلني الله فداك
انا رجل حجام وانا اعرف انك تنفر مني لما اتولاه من معيشتي فشانك بما لم تقع
عليه يدي وكان حاجة الي الطعام فقمت وطبخت قدرا ماظننت اني اكلت مثلها
فلما قضيت ارى قال لي هل لك ان تشرب شيئا فانه يسلي الهم و يزيل الغم
ي و عهد للنفس الفرح قلت ما أكره ذلك رغبة في مؤانسته فاتى بقطر ميز جديد وحضر لي
بقلا وفاكهة في اوان جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان اذنت لي جعلت فداك ان
اقعد بناحية منك واتى بشراب فاشرب مسرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا
ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال ياسيدي ليس من قدري ان اسألك
ان تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغني
لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن اين لك اني احسن الغناء فقال متعجبا
سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم ابن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل
المأمون لمن يدل عليك مائة الف درهم فلما قال ذلك عظمت مروءته عندى وعلمت ان
نحوته اجل مما يدل فتناولت العود فاصلحته وقد مر بخاطري ذكر اهلي وولدي فقلت

وعسى الذي اهدي ليوسف اهله　　وأعزه في السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا　　فالله رب العالمين قريب

فقال ياسيدي اجعل ما تغنيه مما اقتضيك به قلت نعم غن لي

ان الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فهو عالك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة فعلها ان تنجلي فلعلها

فحسن عندي اقتراحه وشربت ثم قالت غن لي

وراء مضيق الخوف متسع الامن واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وقالت غن لي

اذا الحادثات بلغن النهى وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء فعند التناهي يكون الفرج

فغنيته وحسن في نفسه اقتضابه وانست به واستظرفته ثم قال اني رايت ياسيدي ان تأذن لي ان اغني ما خطر ببالي وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة في ادبك ومروءتك فاخذ العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشي عيونهم سريعا ولا يغشي لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما يلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عني ما كان عندي من الفزع وسألته يغني فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا القوم لا نرى الموت سبة اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاب وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به واخذني من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد المغرب وجال فكري في هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه وارادته ان يسليني عما انا فيه واشارته الي تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه

وقالت له أنت في وداعه الله وحفظه فاني ماض عنك واسالك ان تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا آمنت المز يد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك منا لا قيمة له عند أهل الرياسات و يظنون فيه الظنون الرديئة فاخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثم ما لا والله فالحت عليه فاخذ موسى له بيده وقال والله ان راجعتني لا تخون نفسي فخشيت عليها واخذت الخريطة واثقلني حملها فلما انتهيت الي باب الدار قال يا سيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسالته ان يكون متفقا على تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل لي اليوم الاول قال فاقمت اياما في اطيب عيش واهنئة ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضي يجدد لنا حالنا فلبست ثيابي وتزينت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرف في الطريق داخلني من الخوف والفزع امر شديد ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فابصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلق بي وقال طلبة امير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الرقاق وصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشى حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت بابه وامرأة واقفة فيه فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو أقمت سنه ما عليك باس واذا بالباب يدق فاخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوح الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ما دهاك قال ان حديثي عجيب وامري غريب ظفرت بالمنى وقد انفلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم ابن المهدي لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ما ترين من حالي ولو حملته الي أمير المؤمنين لاخذت منه مائة الف درهم قال فاخرجت له خرقا ودرورا وفرشت له بعد كيس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت اظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامه وأقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك فينم عليك فانج بنفسك فسالتها امهالي الي الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت

من عندها واتيت الى بيت مولاة لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالي على سلامتي وخرجت كانها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافه فظننت خيرا فلم أشعر الا بابراهيم الموصلي بخيلة ورجاله والمولاة معه حتى سلمتني اليـه فرايت الموت عيانا وحملت مثل ما انا الى امير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالى عليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لا سلمك الله ولا حفظك ولا رعاك فقلت يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوي وما تناولته يد الاقدار رعامدله من اسباب الرجاء ما يامن معه عادية الدهر وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذى عفو فان تاخذ فبحقك وان تعف فبفضلك وانشدت اقول

ذنبي اليك عظيم وانت اعظم منه فخذ بحقك اولا فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالى من الكرام فكنه

قال فرفع راسه الي فقلت مبتدرا

اتيت ذنبا عظيما وانت للعفو اهل فان عفوت فمن وان جزيت فعدل

قال فرق المامون واسترجع فرايت روائح الرحمة في شمائله ثم اقبل على اخيه ابى اسحق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون فى امره فاشار الكل بقتلى الا انهم اختلفوا في القتل فقال المامون لاحمد بن ابى خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان لم تعف لم نجد مثلك في العفو فنكس المامون راسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع راسه وقال

قومي همو قتلوا امين اخي فاذا رميت يصيبني سهمى

ثم قال المامون لا باس عليك يا عم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من افوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر ولكن اقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها في صلب آدم للامام السابع ملئت قلوب الناس منك مهابة
وتظل تكلؤهم بقلب خاشع ما ان عصيتك والغواة تمدنى اسبابها الا بنية طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اشبالا كافراخ القطا وحنين والدة بقلب جازع

فقال المامون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك

ردت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
آمنت منك وقد خولتني نعما ... نعم الحياتين من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به ... والمال حتى اسل النعل من قدمي
وان جحدتك ما اوليت من نعم ... اني الي اللؤم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدرر وهذا منه وامر لي بمال وخلع علي وقال ياعم ان اباسحق والعباس اشارا بقتلك فقال لهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المامون اقدمات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المامون طويلا ثم رفع راسه وقال ياعم اتدري لم سجدت قلت شكرا لله تعالى على ما اوقعك عليه وملكك اياي في بدلك تفعل بي ما تشاء فقال لي اخطات ولكن اشكر الله تعالى على ما الهمني من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال واعظم من عفوي عنك اني لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثني بما كان من امرك فشرحت له ماجري لي مع الحجام والجندي وزوجته والمولاة التي اسلمتني فامر المامون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال المامون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قال رغبة في المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط واخذ بتخليدها في السجن ثم احضر الجندي وامراته والحجام فسال الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل قال رغبة في المال فقال انك اولى بان تكون حجاما من ان تكون خداما وكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجام ليتعلم الحجامة واحسن الى امراته وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امراة ادبية تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندي وما فيها وخلع عليه واثبته برزقه في الديوان وزيادة الف دينار في كل سنة ولم يزل كذلك الى ان مات والله اعلم

(وعن محمد بن عبد الله التميمي) قال حدثنا احمد بن محمد الحريري قال كان لحمنة بنت عبد الله الهاشمي من الاموال مالا يسعه الديوان ولا تاكله النيران لكثرته وكانت ادب نساء بني هاشم وافصحهن لسانا واقولهن شعرا فدخلت على المامون يوما وكانت تحبه غاية الحب سرا وكان المامون جالسا في ايوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه احد من الخلفاء قبله وكان قد تانق في بنائه وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه ستورا من الحرير الصيني وقد اقام فيه

ار بعمائة وصيفة بمراطق الحرير وقد لبسن الوشي بطرر وشعور واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره فقال يا حمنة هل كان لابيك او لجدك او لاحد من الخلفاء مثل الايوان مع فرشه ومثل هؤلاء الجواري مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله به وعمره بك فلقد اوتيت ملكا عظيما تستاهله لقدرك وشرفك فان اجبت خادمك حمنة اجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط واصادك صيدا لم تصد مثله قط واسقتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال لها يا حمنة قد اجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنأ لي ذلك الا بمشهد من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لي مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم ضربت يدها بجيبها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر فدفعها الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفي اجرته وهذه اجرتك مني لكن مستحثا لي امير المؤمنين غدا عند الزوال في المسير الى منزل خادمته فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمامون وغيره فلما كان من الغد جلس المامون في مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت في كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين والحاجة التي عرضت عليك الامس ففطن المامون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك ودعا بحمارين مصريين بغاشيتين وركباهما حتى اتيا دار حمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت في بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا في صدر البيت اربعة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهي

ما سرني ان فؤادي ولا … ان لساني بالمدام حلا … وان لي ملك بني هاشم
يحيى الى اوله اولا … ان لم اشاهدك ايا مالكي … تاتي الى بيتي كذا مقبلا
يا سائلي روحي بلا علة … انت المعافى وانا المبتلى

فقال المامون يا يحيى ما ملك احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه ارمني مجفور ونقوش باللآلىء واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الريش وفي البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في اواني الذهب والفضة وهي تفوح منه لا يدري ما هي من طيبها ثم اخرجتهما الى البيت قال هذا الاسحر

دعت لهما بمائدتين من الجزع اليماني قوائمهما منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المامون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشط والابريق فغسلا ايديهما ثم امرت بشراب فقدمت اليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد اتت عليه الاعوام والايام فهي تحكي الهواء لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين ايديهما مع اقداح وانطال نشا كل ذلك فقال المامون والله ما رأيت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما ثياب الوشي الكوفي المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيدية وتيجان الذهب مكللة بالجوهر فجلستا وفي حجرهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي مليح من انواع الاغاني وغرائب الاصوات فقال المامون هذه الجنة بما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر فقال يحيي وقد بقي لنا يا امير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال الصيد يا امير المؤمنين قال قد صدقت يا يحيى ثم قال يا حمنة ما فعل الصيد فقالت قوما اليه فقام المامون ويحيى حتى دخل بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت البستان باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفاخت والقمري والهزاز والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسرور والاجيال وكانت قد زينت مائة جارية نواهد ابكار بطرر وشعور وخدود ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن ابهى من صاحبتها واحسن وعليهن من الوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي وسطهن مناطق الذهب الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رايتن المامون ويحيي تهادين ما بين الاشجار فلما دخل المامون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور على المامون ثم قال يحيى ما رأيك في هذا الصيد يا امير المؤمنين فقال المامون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المامون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت حمنة سالتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا تبخل المحل بهن عليك وقد فهمت المعنى فيه وقد كانت حمنة تغار على المامون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك والصيد اذن انت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المامون انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض وعدا خلفهن فاخذ منهن خمسة فقالت حمنة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المامون لحاجتي اليه فقال يحيي والله يا امير المؤمنين

لقد رايت الهوي الغالب في حماليق عينيها ولا تتم لنا النعمة الا بنز و يجك اياها ان رايت ذلك فقال المامون انا بريء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنتصف من جدي العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها ثم قال يا يحيى وخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المامون الف الف دينار واقطعها مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمنة الله سرورا بما ظفرت به من تزويج المامون اياها وأمرت ليحيى بعشرة الف دينار ورجع المامون المامون الى منزله وزفت اليه في تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المامون خرج يوما على زبيدة ام الامين فرأها تحرك شفتيها بسيء لا يفهمه فقال لها يا اماة اتدعين علي لكوني قتلت ابنك وسلبته ملكه فقال والله يا امير المؤمنين قال فما الذي قلتيه قالت يعفني امير المؤمنين فالح عليها وقال لابد أن تقوليه قالت له قلت قبح الله اللجاجة قال وكيف ذلك قالت لاني لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبني فامرني ان اتجرد من اثوابي واطوف القصر عريانة فاستعفيته و بذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عني فتجردت من اثوابي وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ و يطا اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفاني عن ذلك فلم اعفه فنزل لي عن خراج مصر والعراق فابيت وقلت والله لتطانها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم ارجارية اقبح ولا اقذر ولا اشوه خلقة من امك مراحل فامرته ان يطاها فوطئها فعلقت منك بك فكنت سببا لقتل ولدي وسلبه ملكه فولى المامون وهو يقول قاتل الله اللجاجة اي التي لحيتها عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وروي) عن عامر القهروي عن اشياخه قال امر المامون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فمر بهم طفيلي فراهم مجتمعين فظن خيرا ومضي معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزروق وقال لاشك انها نزهة فلم يكن الا يسير وقد قيد النوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد وادخلوا على المامون فاستدعى بهم باسمائهم واحد بعد واحد وجعل يذكره بفعله و يقوله و يضرب عنقه حتي لم يبق الا الطفيلي و فرغت العشرة فقال المامون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير المؤمنين غير انا رايناه معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين

امراته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير اله الا الله محمد رسول الله وانما رايتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال اوقد بلغ من شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل قد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن يؤدب حتي لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدي حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لى وانا احدثك عن نفسي فيما وقع لى في التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما انظر الي سكك بغداد فاشتهوي بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسي اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشي فرفعت بصري واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام لذاك الكف فاخذت في عمل الحيلة الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدي لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحاب تجار مثله فبينما نحن في الكلام اذا اقبل رجلان فقال لى هذان ندماؤه فقلت له ما اسمهما وما كنيتهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت وراءهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداء كما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتي اتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك في انى معهما فرحب بى واجلسني في افضل الاماكن ثم جيء بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت في نفسي هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقي الكف والمعصم ثم جيء بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لا ضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان في غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت عن غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود فجسته احسن جس واذا هى حاذقة في الصناعة وغنت تقول

توهمها فكري فاصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظري اثر

وصافحها كفي فالم كفها ... فمن ضم كفى في اناملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بلبالى فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

اشرت اليها هل عرفت مودتى　　فردت بطرف العين انى على العهد
فحادت عن الاظهار عمدا بسرها　　وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابنى من الطرب الذي لم املك نفسي معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا　　واياك لانلهو ولا نتكلم　　سوى اعين تبدى سرائر انفس
وتقطيع انفاس على النار تضرم　　اشارة افواه وغمز حواجب　　وتكسير اجفان وكف يسلم

فزاد حدي لها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معني الشعر لانها لم تخرج عن المعني وقلت بقي عليك يا جارية شيء فرمت العود من يدها وقالت متي كنتم تحضرون الغناء فندمت على ما كان مني و رايت القوم كانهم قد انكروا على فقلت في نفسي فاتني جميع ما امات واحببت ان اتلافى قضيبي فقلت اثم عود غيرهذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ماالمنازل لاتجيب حزينا　　اصممن ام قد بالبلاء بلينا

فما اتممت شعرى حتي وثبت الجارية الى وانكبت على يدي تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا في اكرامى وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتي قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت ساعة حتي تراجعوا الى عقولهم وقلت

هذا محبك مطوي على كمده　　وجدا وادمعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته　　مما به واليد الاخرى على كبده
يامن يري كلفا في حبه دنفا　　كانت منيته فى عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذي كنا فيه ليس بشيء وشرب القوم فلما جاءهم البسط واخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبدين له ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله يا سيدى ذهب ما مضى من عمري باطلا حيث لم اعرفك قبل يومى هذا فبالله يا مولاي من انت فجعلت اردعليه وهو يقول و يقسم على حتي اعلمته من انا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجيب ان تكون هذه المكارم الالمثلك وقد اصابني من الدهر نعم لا اقوم بشكرها ثم قال اتري هذا يقظة ام منام اقسمت انى لا ازال هذه الليلة قائما الي ان تأذن لي فانى

احقر من ان اجالس الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ في الكلام وجعل يعرض على السبب الذي اوجب حضوري عنده بالطف تعريض فاخبرته بامري على الحقيقة ولم اخفه شيأ ثم قلت له الطعام قد نلت منه بشيئ و بقي الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن و جعل يقول يافلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وانا لا اري صاحبة الكف والمعصم الا ان اتت اربعون امرأة فقال والله ما بقي الا اختي وها انا اخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرأيت يدها ومعصمها فاذا هي التي رأيتها قلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان يأتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب اختي فلانة واشهدكم اني قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف دينار التي كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم قال ياسيدي امهد لك بعض البيوت لتنام مع اهلك فاعجبني ما كان من كرمه واستحييت ان ادخل بها في داره فقلت له بل احملها في عمارية واحملها الي منزلي فوحقك ياامير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك ياامير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلي وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه فصيره من جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

(ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هرون الرشيد)

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام (قيل) انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا والثلج عتيدا فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم في ذلك اليوم اربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن أوس الطائي يمتدحه

انجس عودا رأيت الخيل راقصة ... كانها من سماع هزها نعم

اوحركت يده اليمنى له وترا ... على اعاديه غي البوم والرخم

كان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول ذلك فلم يقل وله معه كلام طويل فانظره في حياة الحيوان (ومن لطائف الحكايات) ماروى عن

احمد بن داود القاضي انه قال جيء بتميم بن جميل الى المعتصم أسيرا وكان قد خرج عليه فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر ابن عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال اما اذا أذن أمير المؤمنين فى الكلام فانى اقول (الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل وأنار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وأيم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو أشبه بك وأليق ثم انشد يقول

أري الموت بين السيف والنطع كامنا	يلاحظني من حيث لا اتلفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي	وأى امريء عما قضا الله يفلت
ومن ذا الذي ياتى بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى من ان اموت وانني	لاعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم	واكبادهم من حسرة تتفتت
كانى أراهم حين أنعى اليهم	وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا فى سرور ونعمة	اذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا أبعد الله داره	وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يا تميم كاد والله ان يسبق السيف العذل قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله واعطاه خمسين الف دينار (وذكر) صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغنى قال تطفلت تطفيلة قامت على امير المؤمنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الي الصبح فلما اصبحنا قلت له يا أمير المؤمنين ان رأيت ان أخرج الي الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه أمير المؤمنين قال نعم فامر البوابين ان يتركونى فخرجت أتمشى فى الرصافة واذا بجارية كان الشمس تشرق من جبينها فتبعتها ورأيت معها زنبيلا فوقفت على فاكهانى واشترت سفرجلة بدرهم

وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتني فقالت يا ابن الفاعلة الى أين قلت خلفك ياسيدتي فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك أحد فيقتلك فتأخرت ومشيت وتمشت امامي ثم التفتت فرأتني فشتمتني شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبير فدخلت فيها وجلست أنا عند الباب وقد ذهب عقلي ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فسلم ألبث ان جاء فتيان كانهما بدران على حمارين فلما وصلا الى الباب أذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب المنزل قد دعاني وجيء بالطعام فاكلنا وغسلنا أيدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم في فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعي بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها فغنت وشربوا وطربوا وهي تلاحظني وتشك في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم ألبث ان قلت يا جارية شدي يدك فشدت اوتارها وخرجت عن انقاعها الذي تقول عليه قال فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية فقاموا الي وقبلوا راسي قال وكان مخارق من أحسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من انت ياسيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك قلت طفيلي اصلح الله شأنكم واخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقيه أما تعلمون اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين الف درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هي له فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة آلاف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يامولاتي اعيدي كلامك فتستحي مني فاحلف عليها لتعيدنه فتعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل لي انه انتبه فطلبك في منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل وحدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم بثلاثين ألف درهم والله أعلم انتهى (حكاية غريبة عن محلها) قال الاصمعي دعاني بعض العرب الكرام الي قري الطعام فخرجت معه الى البرية فاتوا ببا طية باذنين وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يا كل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين عليه

كانك اثلة في أرض هش　　اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الي بعين مبحلقة وقال لي الكلام انثي والجواب ذكر وانت

كانك بعرة في است كبش　　مدلاة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيا من الشعر أو ترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه وأبوه فقلت ان عندي قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ما عندك فغطست في بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزومة فقلت

قوم بنجد قد عهدناهم　　سقاهم الله من النو

قلت أتدري النو ماذا فقال　　باتوا تلالا في دجا ليلة　　حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال　　لو سار فيها فارس لا نثنى　　على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال　　منطوي الكشح هضم الحشا　　كالباز ينقض من الجو معلو

فقلت له الجو ماذا فقال　　جو السماء والريح تعلو به　　اشم ريح الارض فاعلو

فقلت فاعلو ماذا فقال　　فاعلو لماعيل من صبره　　فصار نحو القوم ينعو

فقلت ينعو ماذا فقال　　ينعو رحالا للفتى شرعت　　كفيت مالاقوا ومايلقو

(قال) فعلمت انه لا شيء بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت له و يلقوا ماذا فقال

ان كنت ما تفهم ماقلته　　فانت عندي رجل بو

فقلت له البو ماذا فقال　　البو سلخ قد حشي جلده　　بالف قرنان تقول او

فقلت او ماذا فقال　　اواضرب الراس بصوانة　　تقول في ضربتها قو

فخفت ان اقول قو ماذا فيضربني و يكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يابى الكرامة الا لئيم فقلت لزوجتي اصنعي لي دجاجة فقلت فاتيته بها وجئته انا وزوجتي وابناي وابنتاي وقلت له فرق يا بدوي فقال الراس للراس واعطاني الراس وقال الولدان جناحان لهما اجناحان والبنتان لهما الرجلان والمراة لها العجز وانا زائر لي الزور واكل الدجاجة ونحن ننظر اليه و بتنا نتحدث فلما اصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لي خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي فقال تريد سفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت وزوجتك دجاجة وابناك دجاجة وابنتاك دجاجة وانا دجاجتان فقلت لا ارضي بهذه القسمة

فقال كانك تريد شفعا فقلت نعم فقال انت ووالداك دجاجة وزوجتك وابنتاها دجاجة وانا ثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فلم ينبو مرتين مرة في الشعر ومرة في الدجاج ثم انصرف انتهى

(خلافة امير المؤمنين الواثق بالله تعالى)

قال ابنه محمد الذي يقال له المهتدي بالله كان ابى الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا في ذلك المجلس فبينما نحن عنده اذ اتى بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابى عبد الله يعني ابن ابى دؤاد واصحابه وادخل الشيخ مقيدا فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئسما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها وانت والله ما حييتني بها ولا باحسن منها فقال ابن ابى داود يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ما تقول في القرآن فقال الشيخ لم تسالني ولي السؤال اساله فقال الامير سله فقال الشيخ لابن ابى دؤاد ما تقول في القرآن فقال مخلوق فقال الشيخ هذا شيء علمه النبي وابو بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء الراشدون ام شيء لا يعلمونه فقال لا يعلمونه فقال سبحان الله شيء لا يعلمه النبي ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلني فقال قد فعلت والمسئلة بحالها قال نعم قال ما تقول في القرآن فقال مخلوق قال هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام ابى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدي رجليه على الاخري وهو يقول هذا شيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهى (فائدة) روى الدارقطني وشيخه والحاكم وابن عدي عن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابى من بني سليم قد اصطاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به الى رحله فراي جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال على من هؤلاء قالوا على الذي يزعم انه نبي فاتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة اكذب منك ولولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس اجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني اقتله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الحليم كاد ان يكون نبيا ثم اقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى ولا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب واخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياضب فتكلم الضب بلسان فصيح عربي صريح يفهمه القوم جميعا فقال لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا ياضب قال انت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابي اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض ابغض مني اليك والله لانت الساعة احب الي من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله وقل هو الله احد فقال يارسول الله ماسمعت في البسيط ولا في الرجز احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا من كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرات قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانك قرات القرآن كله فقال الاعرابي ان الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان الكبري (ووقف) رجل على الواثق فقال ياامير المؤمنين صل رحمك وارحم اقاربك وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فاني لا اعرفك قبل اليوم قال ابن جدك آدم فقال ياغلام اعطه درهما فقال ياامير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ارايت لو قسمت المال بين اخوتك اولاد جدي اكاد ينوبك منه حبه فقال لله درك ما ازكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

(خلافة المتوكل على الله تعالى)

(حكى) ان ابو القاسم على بن محمد الذهبي عن ابي عبدالله النحوى قال لما حج محمد بن عبدالله بن طاهر راي في الطواف جارية في نهاية الحسن فسال عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد روّاها الاشعار والاخبار والنحو والعروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم فلما قدم بها مدينة دار السلام

شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وما يجده منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها اياما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وامره معها مستور ففطن به سويد بن أبي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سوى ما يكيده به الا أن كتب الى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد كتابا بانسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى جارية بمائة الف درهم فهو يصطبح معها ويقضي زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر في امور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ولا يأمن امير المؤمنين ان تخرب له بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتسبب امير المؤمنين في اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك الى امير المؤمنين ايده الله وهو أعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانة وائت بها من غير تاخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانقطع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذي اقدمك قال امير المؤمنين امرني ان آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر سروره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر الخادم بكرسي فجلس عليه ان امتنع ساعة وقال ان مثلي لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني لا تزود منك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من لمذبين رماهما بشماتة العذال والحساد
اما الرحيل فحين جد تحملت مهج النفوس به من الاجساد
من لم يبت والبين يصدع شمله لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما ثم عاين ما حل بهما فقال ايها الامير ان اردت ان امضي وادعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خليفة مثل ابي سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق بنا فقالت الجارية والله يا سيدي لا ملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه

لاقتلن نفسي فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين لكان في ذلك واسع حيلة ولقد وددت ان ياخذ مني امير المؤمنين جميع ما املك و يعزلني عن عملي و يبقيك على ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفي عن علمك ان صنائع المعروف تقي مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروءتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى بكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك يا نرجس قال ورائي يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية فقال يا امير المؤمنين والذي يخفى أكثر مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها الساعة اليه من وقتك هذا وأدركه أن تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مثله وجعلت امر ابن سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك و دفعه الي نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتي دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد وقد احدقت بها الجواري يروحنه بالمراوح فقال ابشر يا محمد امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير ان يقع نظره عليها وقد حكمك في ابن سويد ثم ناوله التوقيع بذلك و دخلت الجارية عليه فوثب اليها وعانقها وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره و بعث الى ابن سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قراه قال اعوذ برضاك من سخطك و بعفوك من عقوبتك وان تهدم مني ركنا انت شيدته وانت صنيعة اصطنعتها الى مثلي فمثلي من هفا ومثلك من عفا ثم قام فقبل البساط فقال له محمد لا ابدال نعمة الله كفرا ثم امر له بخمسين الف درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب له خمسين الف درهم مما وهبه لي امير المؤمنين شكرا لله تعالى على ذلك ثم اقره على ما كان عليه وامران يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كان عليه في اطيب عيش واحسن حال ظاهرين بذلك غير مستترين

(خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله أحمد)

كان يسمي السفاح الثانى لانه جدد ملك بني العباس بعد ان اخلقته الاتراك واذلته وفي ذلك يقول على بن العباس الرومي

كما بابى العباس انشيء ملككم   كذا بابى العباس أيضا يجدد

(ولقد اتفق) في أيامه على ما حكى امر فظيع كشفه الله له بهيبته في نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ احد منهم ان يكتم ما فى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يتخيل لهم انه يعلم ما في نفس الانسان من الضمير فاتفق ان احد وزرائه وا كبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه احد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا في ذلك البناء فرأي يوما من الايام في داره من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فولع بها فسال عنها فاخبر انها بنت احد التجار فارسل الى والدها خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار ليس ار وجها الا من تاجر مثلي فانه ان يزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها اقدرت على النصفة منه وانت ان ظلمتها لم اقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل يرومه في ذلك بكل امر وتوسط اليه بالاكابر اولاماثل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه ان يجيبه شكا الى بعض خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك هذا فكيف ذلك والله لو علمت انى انفق عليها مائة الف مثقال او اكثر وتأتيني بها لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشي بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضي في شهادتهم وذكر لهم الامر وقال هذا الامر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفا واغلي لهم المهر وانكم تحيون نفسا اشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون وابوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره ومكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت الملك ثم هو مع هذا يابى هل هذا الاعضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اذا علم ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا اذا ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد منهم مائة وشهدوا ان اباها زوجها على صداق مبلغه كذا ورفعوا في الصداق الى غاية ما ترتفع اليه صدقات الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا واباء فمشى

الوزير وذلك القائد الي القاضي وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قد ناكرني وانكر الشهود وقد أردت ان ادفع له حق ابنته وآخذها فامر القاضي باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين يدي القاضي والرجل على انكاره تماديا فامر القاضي باحضار الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب اد كره وامر بحمل المال فلما وصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول الي المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصه فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل في جملة رجال الخدمه للبناء فلما كان الوقت الذي كانت عادة اميرالمؤمنين المعتصم يقف فيه على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الي الارض وجعل يحثو التراب على رأسه ويستغيث فسأله عن شانه فقص عليه القصة فارسل المعتصم في ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه في القول فحملته هيبته وقلة اقدامه على الكذب عليه ان اصف له الصورة علي ما كانت عليه وهو يطمع ان يعذره في ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ماهو فوق قيمة قدرها وامر باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الذلة اذ قد ارادوا احياء نفس ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدي القاضي نقدا لا يكون الا في صدقات الملوك وقد جعل لها من الصداق ماهو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها او اكثر من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل شاهد منهم على باب داره وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طري السلخ ويضرب بالمزراق حتي يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم امر به لما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدي نمور كانت عنده فلما لعقت تلك النمور وذلك الدم امر الرجل ابا البنت ان ياخذ ابنته وياخذ كل ما ذكروا لها على ذلك الوزير في صداقها من عقار ودور ومال ثم مات المعتصم وولى ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الي ما كانت عليه من ذلك والله اعلم (ويحكى) ان بعض الملوك ارسل رجلا من بطانته الي بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه باخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف

ثم قال عرفت ماجئت له وانا راغب اليك بكتاب تكتبه الي الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق العدل فان انت فعلت ذلك فلك مني ما تشتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان أبيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهوا الى من أمرك في الملا ما يوجب قتلك إما احدا و إما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضي البلد ووجوه الناس فتذهب كامس الماضي فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخونه مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك ا بعد اعز الله الملك واكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالجزم عاملا بالعزم قد ساوي بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته وارضي بعضهم بعضا وجعل طاعته عليهم فرضا وانزلهم منه منزلة الاولاد واذهب ما بينهم من الاحقاد وار واحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل في الاخري اغني القاصد وارضي الوارد فجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر الي الكريم وجهه والسلام (فلما) وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لو زيره ان فلانا لم يكن عندي بمتهم فان كتابه هذا يدل علي ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير اصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان قوله اخذا بالحزم عاملا بالعزم اي انه خائف مني لما اعتمده فى الولاية وأما قوله ساوي بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته فمعناه انه لم يخص أحدا بظلمه بل الجميع سواء وقوله وارضي بعضهم بعضا اى ذهبت احقادهم لان الشدائد تذهب الاحقاد وقوله انزلهم منزلة الاولاد معناه أخذ اموالهم ورأي انها له أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله وأراحهم من السعى في الدنيا معناه انه أخذ اموالهم ولم يترك ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم للعمل فى الاخري معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله اغنى القاصد وارضى الوداد فانه يعني نفسه اى انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك واما قوله فجميع اهل عمله داعون لنا معناه أن ينصرنا الله بامرهم ونطلع على ما هم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا مالقوه منه و يستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس منه ورد عليهم ما كان ظلمهم فيه واقتص منه وقابله على فعله

(وهذه القصيدة الزينبية)

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب

نشرت ذوائبها التي تزهو بها ... سودا ورأسك كالثغامة أشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما ... كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه ... آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فماله من عودة ... وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ماقد كان في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه ... لابد يحصي ماجنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ... انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ماخلفته وجمعته ... حقا يقينا بعد موتك ينهب
تباً لدار لايدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة اولاكها ... بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان وأهله مستبصرا ... ورأي الامور بها تؤب وتعقب
لاتأمن الدهر الخؤن فانه ... مازال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام في لذاتها ... غصص يذل لها الاعز الانجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... ان التقى هو البهي الاهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع له لديه مقرب
واقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب
فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسى ثوب المذله اشعب
وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب
لاتأمن الانثي حياتك انها ... كالافعوان يراع منه الانيب
لاتأمن الانثي زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغري بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهي الصقيل الاشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب

واحذره ان لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب
ان العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب
واذا الصديق رأيته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب
لاخير في ود امريء متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
لقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين الى المقارن ينسب
ان الغنى من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ماله ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه ... حقا يهون به الشريف الانسب
واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا
وذو الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... ان الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه ... نشرته السنة تزيد وتكذب
لاتحرصن فالحرص ليس بزائد ... في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس يأتي رزقه ... رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واذا اصابك نكبة فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة ... اونالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه ادنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد واقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل ... ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه ... يعدي كما يعدي السليم الاجرب

واحذر من المظلوم سهما صائبا | واعلم بان دعاءه لا يحجب
واذا رأيت الرزق عز ببلدة | وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فارض الله واسعة الفضا | طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي | فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان (وما احسن قول صالح بن عبد القدوس)

المرء يجمع والزمان يفرق | ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادي عاقلا خير له | من ان يكون له صديق احمق
فاربأ بنفسك ان تصادق احمقا | ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما | يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت احلامهم | من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يحيل بكل واد قلبه | فيري ويعرف ما يقول وينطق
لا الفينك ثاويا في غربة | ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل | قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وانما | بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم | الفيت أكثر من تري يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم | هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا | ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهتا | ورأيت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرء لسعته افعى مرة | تركته حين يجر حبلا يفرق
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا | ومضي الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر بن الجوزي في الاذكياء وغيره)

ان عمران بن حطان كان أحد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لعنهما الله تعالى على قتل الامام على بن أبي طالب رضي الله عنه

ياضربة من تقي ما أراد بها | الا ليبلغ من ذي معرش رضوانا
اكرم بقوم بطون الارض قبرهم | لم يخلصوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضي ابا الطيب الطبري رحمه الله تعالى هذه الابيات فقال مجيباله

انى لأبرا مما انت قائله
عن ابن ملجم الملعون بهتانا

اني لا اذكره يوما فالعنه
دينا والعن عمران بن حطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلا
لعائن الله اسرارا واعلانا

فانتمو من كلاب النار جاء لنا
نص الشريعة برهانا وبهتانا

أشار أبو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان (ومنه) ما روي عن نافع بن أبي عمر رضي الله عنه قال جاءوا برجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاءوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك قال لتردن على الصراط ووجهك اضوا من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضي)

زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران

وكل وجدان حظ لا ثبات له
فان معناه في التحقيق فقدان

ياعامرا لخراب الدهر مجتهدا
بالله هل لخراب الدهر عمران

ويا حريصا على الاموال يجمعها
انسيت ان سرور المال احزان

راح الفؤاد عن الدنيا وزخرفها
فصفوها كدر والوصل هجران

واوع سمعك امثالا افصلها
كما يفصل ياقوت ومرجان

احسن الي الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

وكن على الدهر معوانا لذي امل
يرجو رضاك فان الحر معوان

من جاد بالمال مال الناس قاطبة
اليه والمال للانسان فتان

من كان للخير مناعا فليس له
عند الخليفة اخدان واخوان

لا تخدشن بمطل وجه عارفة
فالبر يخدشه مطل وليان

يا خادم الجسم كى تسعى لخدمته — اتطلب الربح لما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها — فانت بالنفس لا بالجسم انسان
من يتق الله يحمد في عواقبه — و يكفه شر من عزوا ومن هانوا
حسب الفتى عقله خلا يعاشره — اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن — قد استوت منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركضوا — فيها ابروا كما للحرب فرسان
وللامور مواقيت مقدرة — وكل امر له حد وميزان
من رافق الرفق في كل الحوادث لم — يندم عليه ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا فى الامر تطلبه — فليس يحمد قبل النضج بحران
وذو القناعة راض في معيشته — وصاحب الحرص ان اثرى غضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق — ففيه للحران حققت غنيان
هما رضيعا لبان حكمة وتقى — وساكنا وطن مال وطغيان
من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى — اغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له — على حقيقة طمع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهمو نصبا — لان طبعهمو بغى وعدوان
ومن يفتش على الاخوان مجتهدا — فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه — ندامة ولحصد الزرع ابان
من استنام الي الاشرار نام وفى — قميصه منهمو صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم — وعاش وهو قرير العين جذلان
مني كان للعقل سلطان عليه غدا — وما على نفسه للحرس سلطان
وان اساء مسيء فليكن لك في — عروض زلته صفح وغفران
ذا نبا بكريم موطن فله — وراءه في بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سرورا دائما ابدا — من سره زمن ساءته ازمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده — ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضي سيرته — ابشر فانت بغير الماء ريان
ويا اخا الجهل لو اصبحت في لجج — فانت ما بينها لا شك ظمان

دع التكاسل في الخيرات تطلبها | فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لاتهتك غلالته | فكل حر لحر الوجه صوان
لايحسب الناس طبعا واحدا فلهم | غرائز لست تحصيها والوان
ما كل ماء كصداء لوارده | نعم ولا كل نبت فهو سعدان
من استعان بغيرالله في طلب | فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما | فانه الركن ان خانتك اركان
لاظل للمرء يغني عن تقى ورضا | وان اظلته اوراق وافنان
سبحان من غير مال باقل حصر | وباقل في ثراء المال سبحان
والناس اخوان من والته دولته | وهم عليه اذ عادته اعوان
يارافلا في الشباب العجب منتشيا | من كاسه هل اصاب الرشد نشوان
لاتغترر بشباب ناعم خضل | فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويااخاالشيب لو نصحت نفسك لم | يكن لمثلك في الاسراف ادمان
هب الشبيبة تبدي عذرها | مابال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها | ان شيع المرء اخلاص وايمان
وكل كسر فان الله يجبره | ومالكسر قناة الدين جبران
احسن اذا كان امكان ومقدرة | فلايدوم على الانسان امكان
فالروض يزدان بانوار فاغمه | والحر بالعدل والاحسان يزدان
خذها سر اثر امثال مهذبة | فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ماضر حسانها والطبع صائغها | ان لم يصغها قريع الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا | فانها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق انعمه | وعمهم منه في الدارين احسان
جبينه قمر قد زانه خفر | وثغره درر غر ومرجان
والبدر يخجل من انوار طلعته | والشمس من حسنه الوضاح تزدان
ومذاني ابصرت عمي القلوب به | سبل الهدى ووعت للحق آذان
به توسلنا في محو زلتنا | الى ربنا انه ذو الجود منان

يارب صل عليه ما همى مطر فاينعت منه اوراق واغصان
وابعث اليه سلاما ركيا عطرا والال والصحب لا تفنيه ازمان

(ومن اللطائف) ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازنى جاء اليه يهودي وساله ان يقرئه كتاب سيبويه ويبذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك فقلت سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولم ارد ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فما مضت الايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر علم ندماءه فغنت جارية فى المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا اهدي السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمى الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعه فمن قائل الصواب معه ومن قائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة ابو عثمان المازنى وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا البصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا ايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فامر الوالى اباعثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد في اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز فى رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعني الاصابة ورجلا منصوب به والمعني ان اصابتكم رجلا اهدي السلام تحية ظلم فظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم الواثق كلام ابى عثمان وعلم ان الحق ما قالته واعجب به وانقطع الرجل الذي انكر على الجارية ثم امر الواثق لابى عثمان المازنى بالف دينار واتحفه بتحف وهدايا كثيرة لاهله ووهبت له الجارية جارية اخري ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاء المبرد فقال له ابو عثمان كيف رايت يا ابا العباس تركت لله مائة فعوضني الفا فقال المبرد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله الاسم الاعظم فجاءنى جبريل به مختوما وهو اللهم انى اسالك بالاسم المخزون المكنون الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم قالت عائشة يابى وامى علمنيه فقال ياعائشة نهينا عن تعليمه النساء

والصبيان والسفهاء اه (فائدة) كان أبو عبد الله بن يحيى الصنيعي من أصحاب الشافعي وكان اماما صالحا عالما من أهل اليمن من اقران صاحب البيان من تصنيفه احترازات المهذب والتعريف في الفقه روي ان اناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت اقرأ (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم . فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله . انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . وحفظناها من كل شيطان رجيم . وحفظا من كل شيطان مارد . وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . ان كل نفس لما عليها حافظ . ان بطش ربك لشديد) الي آخر السورة وينبغي ان يزاد فيها (ان ربي على كل شيء حفيظ) ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرايت ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها بشيء فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا في عنق الشاة كتابا مربوطا فيه هذه الايات المتقدمة انتهى (فائدة) قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترا أى عين الشمس فخرج سريعا فثوب الصلاة فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل الينا فقال اما اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت من الليل فتوضات وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتي استثقلت فاذا انا بربي تعالى في احسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك يارب قال فيم يختصم الملأ الاعلى قلت ربي لا أدري قال تعالى في الكفارات والدرجات وفي رواية قلت في الكفارات والدرجات قال عما هن قلت مشي الاقدام والجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء على المكروهات ثم قال فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلي وترحمني واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني الي حبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها (قال) ابو عيسي هذا حديث حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان في حرف النون وقال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو اخفى فيكم من دبيب النمل وسادلك على شيء اذا فعلته اذهب الله عنك صغار الشرك

وكباره تقول االلهم انى اعوذ بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انك انت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات انتهى (فائدة) اذا علقمت عين الهدهد على صاحب النسيان ذكر مانسيه ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين اذهبه (وروي) احمد والبزار ورجال احمد ثقات من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راي رجلا يشرب قائما فقال له ابساك ان يشرب معك الهر قال لا قال فقد شرب معك الشيطان (وروي) الطبرانى باسناد صحيح عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم مر باعرابى وهو يدعو في صلاته يقول يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشي الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد مااظلم عليه الليل واشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا بحر الا ويعلم قعوده ولا في جبل الا ويعلم مافي وعره اجعل اللهم خير عمري آخره خير عملى خواتيمه وخير ايامى ايام لقائك فوكل النبي صلى الله عليه وسلم بالاعرابى رجلا فقال اذا صلى فاتني به فلما صلى اتاه به وقد كان اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتى الاعرابى اوهب له الذهب وقال ممن انت ايها الاعرابى قال مر بني عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التى بيننا و بينك يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل (حكاية فى القطا) يقال نزل عمرو بن امامة على قوم من مراد فطرقهم ليلا فاثاروا القطا من اماكنها فراتها امراة يقال لها حذام فلما رات القطا طار ليلا فاثاروا القطا ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم

ولو ترك القطا ليلا لناما *

فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الي مضاجعهم فقام رجل منهم وقال

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ماقالت حذام

فنفر القوم والتجؤا الي واد قريب منهم واعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل (وذكر بعض أهل التواريخ) ان ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فاخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظر لها افتتن

بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت له انظر في هذا الكتاب حتى اصلح من امري ما نحب واعود فاخذ الملك الكتاب ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعد الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمراة واعطاها الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر أخبرته الخبر فتحير في نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدي الملك قال أقارب المراة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعه فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ارضي وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لي بالاسد ففهم الملك القصة فقال يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه (وقال) الكسائي دخلت على الوليد ذات يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد امر بتفرقته على خدمه الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثني فقال هل علمت اول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة قلت هو يا سيدي عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت لا اعلم غير انه هو أول من احدث هذه الكتابة قال سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان اكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها ابا وابنا وزوجة وبنتا فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا في دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الي عبد العزيز ابن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز الذي يعمل على الثياب والقراطيس

والستور وغير ذلك بان تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وهو شهد الله انه لا اله الا هو
هذا طراز القراطيس الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الافاق
جميعا بابطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد
هذا النهي شيء منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما اثبت القراطيس بالطراز
المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له
ذلك الطراز فانكره وعظم عليه واستشاط غيظا فكتب الى عبد الملك ان اعمل
القراطيس بمصر وسائرا يطرز هناك الروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الا ان ابطلته
فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت وان كنت قد اصبت فقد اخطؤا
فاختر من هاتين الخلتين ايهما شئت واحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق بمحلك واحببت
ان ترد طراز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع ما كان يطرز او لا لاشكرك عليها
وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول واعلمه انه
لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فاما وافاه اضعف الهدية ورد الرسول الى
عبد الملك وقال اني ظننت انك استقللت الهديه فلم تقبلها ولم تجبني الى كتابي فاضعفت
الهدية وانا ارغب اليك مثل ما رغبت فيه اولا من رد الطراز الي ما كان عليه فقرأ عبد الملك
الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضي جوابه كتابه و يقول
انك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهمت انك استقللت الهدية
فاضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسيح لتامرن
برد الطراز الى ما كان عليه اولا مرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شيء
منها الا ما ينقش فى بلادي ولم ار الدراهم والدنانير نقشت في بلاد الاسلام فينقش عليها
شتم نبيك فاذا قرابه ارفض جبينك عرقا فاحب ان تقبل هديتي وترد الطراز الى ما كان عليه
اول الامر وكانت هدية برزتني و يبقي الامر بيني و بينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب
صعب عليه وعظم وضاقت به الارض قال احسبني اشام مولود ولد في الاسلام لاني
جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقي الى ابد الدهور
ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير
الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رايا يعمل به فقال له

روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك بم قال عليك بالباقر من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ولكنه يا روح الرأي فيه قال نعم فكتب الى عامله بالمدينة ان ارسل محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته واروح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه اخبره الخبر فقال محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانيه تدعوا في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما في وجه الدرهم والدينار والاخري في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم اوالدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الي وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة اصناف العشره منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا احدي وعشرين مثقالا فيجزؤها من الثلاثين فتصير العده من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجاة من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان راس البغل ضربها لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) اي كل هنيئا وكان وزن الدراهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السامرية الخفاف والمثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وامره محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه ان يكتب السكة في جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس في التعامل بها وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد اردت ان تفعله وقد قدمت الى عمالي في اقطار البلاد كذا وكذا وبابطال

السكك والطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لاني كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الرسوم فاما الآن فلا افعل لان ذلك لا نتعامل به اهل الاسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما اشار به محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم الى اليوم ثم رمى يعني الوليد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان (ومما جاء في الذكاء والفهم) ما حكي عن المامون انه غضب على عبدالله بن طاهر وشاور اصحابه في الايقاع به وكان قد حضره في ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياموسى فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت له ياسيدي اني افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه أراد قوله تعالى ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الي المأمون فثني العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته (واحسن) من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض فأمره وزيره ان يكتب له كتابا يشخصه به وكان للوزير العامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب في آخره ان شاء الله تعالى وجعل في صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم فتفكر في ذلك فظهر له انه أراد ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فكشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب واعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها وفي تاريخ بغداد ووفيات الاعيان ان أبا حنيفة كان له جار اسكافي يعمل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا تعشي ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غني

أضاعوني واي فتي اضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب و يردد هذا البيت حتي يأخذه النوم وابو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان ابو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل اخذه العسس منذ ليال فصلى ابو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتى الي دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتي يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع في جاري فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ في تلك الليلة تخلوهم ايضا وذهبوا وركب ابو حنيفة بغلته

وخرج والاسكافي يمشي وراءه فقال له أبو حنيفة هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الى ما كان يفعل (وقال) الشافعي قلت لمالك هل رايت اباحنيفة قال نعم رايت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان تجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المراة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا هو الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة اخري للصداع) ذكر فى حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصل عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين مالاميركم لم يركب فقالوا اعرض له صداع فاخرجوا لنا برنسا وقالوا البسوه له يزل عنده ما يجد فلبسه فشفي ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه غير بطاقة مكتوب فيها هذه الايات (بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم الم تر الي ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم) فقال المسلمون من اين لكم هذا انما انزل هذا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا هذا مخطوطا في حجر في كنيستنا قبل ان يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى (وعن) ابى الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتي مات فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الداعى على هذا الكلب فقال رجل من القوم انا يارسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم الذى اذا دعا به اجاب واذا سئل به اعطي وهذا الحديث فى السنن الاربعة ومسند احمد وكتابى الحاكم وابن حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وان الرجل الدعى سعد بن ابى وقاص انتهي من حياة الحيوان

(فائدة منه ايضا) تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل في انبوبة وتدفن في الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم على معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء (اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب (فائدة) قال القرافي اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كافرا وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا وليس كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذي ليس بمرضي ويظهر ذلك من قوي قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلي ان قالت بثينة ماله ... اتانا الى وعد فقولا لها لها

اتى وهو مشغول بعظم الذي به ... ومن بات طول الليل يرعى السها سها

بثينة تزري بالغزالة في الضحى ... اذا برزت لم يبق يوما بها بها

لها مقلة كحلا وخد مورد ... كان اباها الظبي او امها مها

دهتني بود قاتل وهو متلفي ... وكم قتلت بالمزح من ودها دها

هي من مزح النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون في انف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهي عن الاصمعي (وقال) ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوي وماسوي ذلك الدود ليس بنغف (وروي) مسلم عن النواس بن سمعان في حديثه الذي رواه في الدجال ويبعث الله يأجوج وماجوج فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ومعني قوله فرسي قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

(حكاية الهامة)

(روى) أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر بن الخطاب فقال كعب الاحبار يا أمير المؤمنين ألا أحيرك بأغرب شيء رأيته في كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام يا هامة أخبريني كيف لا تاكلين من الزرع قالت يا نبي الله ان آدم أخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا أسكن ميراث الله قال الله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربه قالت اقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك في الدور واذا مررت عليها قالت أقول ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بني آدم لانفسهم قال فاخبريني ما تقولين في صياحك قالت أقول تزودوا يا غافلون وتهيؤا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس في الطيور طير انصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال أبغض منها والهامه بتخفيف الميم على المشهور طير الماء (وفي كتاب فردوس الحكم) قال آية من كتاب الله تعالى من قرأها يؤمن من الهوام (اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) (فائدة) اليحمور حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابى الفرج الجوزي ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرفقه شخص فى الطريق فلما كان قريبا من المدينة التي قصدها قال له ذلك الشخص قد صارلى عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال اذا اتيت مكان كذوكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك أبيض فاسال عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخى وأنا أيضا أسالك حاجة قال وماهي قلت فاذا كان الانسان مارد لا تعمل فيه العزائم والح بالادمي منا مادواؤه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهام المصاب من يده شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السذاب البري ويقطر فى أنفه الايمن أربعا وفي الايسر

ثلاثاثان الماسك به يموت ولا يعود الى أحد بعده قال فلما دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك عند العجوز فسالتها بيعه فابت فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته عثل لى من بعيد وقال لي بالاشارة اذبحه فذبحته فخرج على عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون ياساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك أصيبت شابة عندنا بجني وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئاً من دهن السذاب البرى فاتوا بهما فشددت ابهامي المصابة شدا وثيقا فلما فعلت بها ذلك صاح قائلا وانا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن اربعا وفى الايسر ثلاثا فخرج من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعدها شيطان (وقال اسحق) غدوت يوما وأنا منحصر من ملازمتي أمير المؤمنين فعرضت نفسي على ان أطوف في الصحراء وأتفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمى النهار فوقفت في فضاء استريح فلم البث أن جاء خادم يقود حماراً فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورايت لها قواما حسنا وطرفا فائقا فحدثت نفسي بانها مغنية ثم دخلت الدار الى أنا واقف عليها ثم لم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت انني معهما وجلسنا فاتى الطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا فسالهما صاحب المنزل عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فاجملوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بك ام شادن ... امام المطايا وهى بالشرب تسبح
من المولغات الرمل قد ابدى ثغرها ... شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فادته اداء حسنا ثم غنت صوتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد لاهيا ... ونأى عني جانيا
قد نلمت الذى اردت ... وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصححه عليها فاقبل على احد الرجلين يعتني ويقول ما راينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتاخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته اصلاحا حسنا محكما وعدت الى موضعي وعادوا واخذ ذلك الرجل فى عربدته على وانا صامت واخذت الجارية

العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جسه احد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا قالت بالله خذ واضرب فاخذته وضربت ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقي منهم أحد الا وثب وجلس بين يدي وقال صاحب المجلس أقسم بالله ان لك في الصناعة أصواتا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحق الموصلي والله انى لاتيه على الخليفة اذا طلبت وأنتم ترون صاحبكم هذا يسمعني ما اكره لكوني ناديت معكم ودخلت عندكم والله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى يخرجوا هذا المقوت فقال له صاحبه من مثل هذا خفت عليه وأخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لى الرجل هل لك في خصلة قلت ما هي قال تقيم عندنا اسبوعا والمكافأة الجارية والجهاز لك قلت نعم أفعل وأقمت عنده أسبوعا لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني فى كل حين وكل موضع ولم يقع أحد على خبرى فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى المأمون فلما رآنى قال يا أبا اسحق ويحك أين كنت فاخبرته الخبر فقال على بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فاحضره وسأله المأمون فاخبره بالقصة فقال أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعان عليها وأمر له بمائة ألف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهي ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع	من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا	سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فاتى به فلما صعد اليه قال لا باس عليك لم ندعوك الا لخير فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قال ما فعل به قال قد اطال حبسه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجاره واحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى (وحكى) مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب فى غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلى قال فمضي حتى انتهى الى منزل ابراهيم الموصلى فخرج وتلقاه وقبل حافر

حماره وقال يا امير المؤمنين في مثل هذه الساعة قال نعم شوق طرق بي اليك ثم نزل وجلس في مجلس الايوان واجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي استنبط شيئا تأكله قبل الشراب قال نعم فجاء بطعوم كانما كان معداله فاصاب منه يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي يا سيدي اغنيك ام تغنيك اماؤك قال بل الجواري فخرجت جواري ابراهيم فاخذن صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم ايضربن كلهن ام واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغني قال فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت

كادت لها مهجتي من حرها تقع ... اذا دعي باسمها داع يحدثني
لكنت اعقل ما آتي وما ادع ... لوان لي صبرها اوعندها جزعي
ما كلف الله نفسا غير ما تسع ... لا احمل اللوم فيها والغرام بها

اخري فقالت

بيضاء تخلط بالجمال دلالها ... طرقتك زائرة فحي خيالها
با كفهم او يطمسون هلالها ... هل يطمسون من السماء نجومها
فاردعو بمحالكم ابطالها ... شهدت من الانفال آخر آية

ثم غنت اخري فقالت

واورثتك سقاما تصدع الكبدا ... شطت سعاد واضحى البين قداري
وخلفوك غداة البين منفردا ... فما احتيالك اذجد الرحيل بهم
ولا تزال احاديثي بهم جددا ... لا استطيع لهم صبر ولا جلدا

(قال) فقام حتي وصل صدر الايوان واخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشيء من غنائهن الي ان غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة هذين البيتين لابي نواس

اقبس بما شئت من قلبي بمقياس ... يا موري الزند قداعيت قوادحه
اذا نظرت فلم انظرك في الناس ... ما اقبح الناس في عيني واسجمهم

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسأل الجارية عن صنائعه فامسكت فاستئذناها فتقاعست فامر بها فاقبلت بين يديه فاخبرته بشيء امرته اليه فدعا بحمار فركبه ثم التفت الي ابراهيم الموصلي وقال له حاضرك ان تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتي دعاه بعد ذلك وادناه قال وكان الذي اخبرته به سرا ان الصنعة في الصوت لاخته علية بنت المهدي وكانت الجارية لها فوجهتها الي ابراهيم الموصلي يطارحها

(ومن قول ابي نواس)

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   ودواني بالتي كانت هي الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها   لومسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذكر   لها محبان لواط وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر   فلاح من وجهها في البيت لالاء
فارسلت من فم الابريق صافية   كانما اخذها للعقل اخفاء
رقت على الماء حتى لايلائمها   لطافة وخفي من شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها   حتي تولد انوار واضواء
دارت على فتية دل الزمان لهم   فما يصيبهمو الا بما شاؤا
فقل لمن يدعي في العلم توسعة   حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

(وقال الشاعر)

كعصفور فى كف طفل يهينها   تذوق مرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذوعقل يرق لحالها   ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

وروي البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الي الفخ وقال مالك متغيبا فى التراب فقال التواضع فقال لم أنحيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة التي في فيك قال اعددتها للصائمين فلما تناول الحبة امسك الفخ عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في هذه العبادة اليوم انتهى (قال) الشافعي رضي الله عنه اربعة اشياء تزيد في الجماع اكل العصافير وأكل الاطريفل واكل الفستق وأكل الجرجير واربعة اشياء تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء علي الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين

(الامام احمد ومناقبه رضي الله تعالي عنه)

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحرر من حضر في جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضي الله عنه عشرون الفا من اليهود والنصاري والمجوس انتهى (وقال) الامام النووي في تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل أمر

ان يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام احمد فبلغ مقام الف الفي وخمسمائة وقد حزن عليه رضي الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصاري والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغني موت الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه اغتممت غما شديدا فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت يا أباعبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفرلي وتوجني والبسني نعلين من ذهب وقال يا احمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق ثم قال الله تعالى يا احمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان التي كنت تدعو بهن فى دار الدنيا فقلت يارب أسألك بقدرتك على كل شيء ان لا تسألني عن شيء واغفرلي كل شيء فقال جل وعلا يا احمد هذه الجنة فادخلها (وانشد) بعضهم فى تاريخ موت الائمة الاربعة ومولدهم الامام ابن حنيفة والامام مالك والامام الشافعى والامام احمد بن حنبل

تاريخ نعمان يكن سيف سطا　　　ومالك في قطع جوف ضبطا

والشافعى صين بيرند　　　واحمد بسبق امر جعد

فخذ على ترتيب نظم الشعر　　　ميلادهم فموتهم فالعمر

وكذا فى تاريخ الائمة الخمسة المحدثين الامام الترمذى وابوداود والامام مسلم والنسائى والامام البخاري　　　(وقد جمع بعضهم مالك فى بيت واحد)

اذا رمت الحديث فلذ بخمس　　　تكن مثل المسافة فى الحياة

تعطر درعه مارص نسج　　　بنور للمحدث للوفاة

بيان ذلك ان التاء اشارة للترمذي والدال اشارة لابى داود والميم اشارة للامام مسلم والنون للنسائي والباء للبخاري والله اعلم (ويحكى) انه أتى برجل مدنى سكران الى بعض الولاة فامر باقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه فقال الجلاد للمدنى تقاصر لينالك الضرب فقال ويلك الى اكل الفالوذج تدعونى والله لوددت ان اكون اطول من عوج بن عنق وانت اقصر من ياجوج وماجوج فاستظرفه الامير وخلى سبيله انتهى من حلية الكميت ومن قول ابن المعتز

وجاءنى فى قميص الليل مستترا　　　يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

وكان ما كان مما لست أذكره　　　فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(ولبعضهم عفا الله عنه)

جري دمعي من الحال الذي بي   كجري الماء في أول أبيب
ومع هذا فلا أقطع رجائي   لان الله ألطف من أبي بي

(ومن كلام الشافعي رضي الله عنه)

لم يدر طعم الفقر من هو غني   ومصحح الاعضاء ليس كمبتلي
كم فاقة مستورة بمروءة   وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجي   قد صادفته غمم لا تنجلي
والناس جمعا عند كل كفؤه   والهم مفترق وما أحد خلي
لو سود الهم الملابس لم تجد   بيض الثياب على امرىء في محفل
واذا اراد المرء يجلو همه   عن نفسه من نفسه لا ينجلي

(ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى في أرض اليمن)

رياض نجد بكم جنان فضية   أنوارها حسان وترت واديكم بنجد
كمسك وحصباوها جمان   والروض من شعبكم عبير والزهر ورد وزعفران
والجار في ربعكم عزيز   والحر في أرضكم يصان فكم سفكتم دمي وهمي
اما على القاتل الضمان   ورمت أخفي الهوى ودمعي مدشدة الوجد ترجمان
يالائمون اقصروا ملامي   رفقا بمن قلبه ملان لا تذكروا الظاعنين عندي
فلي وللظاعنين شان   قالوا هواهم عليك حتم فقلت عهد الهوى يصان
قالوا فكم تكتم التصابي   قلت المعني بهم معان قالوا فقد فارقوك ربما
قلت هم الناس حيث كانوا   قالوا فدعهم قلت كلا لعل قلبا قسا يلان
ليت الصبا الحاجري ينبي   عن جيرة البان يوم بانوا هل عهدهم عهدهم بنجد
باق ام استؤمنوا فحابوا   بالمحسنا بالزمان ظنا هل تدرى ما يفعل الزمان
لا تتبع النفس في هواها   ان اتباع الهوي هوان واخجلتي من عتاب ربي
ان قيل أسرفت يا فلان   الي متى أنت في الملاهي تصير مرخى لك العنان
لو خوفتك الجحيم بطشي   لشوقت قلبك الجنان عندي لك الصفح وهو بري
وعندك السيف والسنان   ما تستحي كما نبا كرعا يحصي به الفعل واللسان
وتستحي شيبة تراها   في النار مسحوبة تهان أنت شجاع على المعاصي

وأنت عن طاعتي جبان لم ينهك الصيب عن حدودي ولا رسول ولا القرآن
ترضى بان تنقضي الليالي وما انقضى حربك الغوان أي أو أن تتوب فيه
هل بمد قطع الرجا أو ان آثرت غيري على لكن كما يدين الفتى يدان
ياسيدي هذه عيوبي وأنت في الخطب مستعان يامن له في العصاة شأن
البر والعطف والحنان يامن ملا بره النواحي لم تخل من بره مكان
عفوا فاني رهين ذنب حاشاك ان يغلق الرهان فاغفر لعبد الرحيم والطف
بخائف ماله أمان وسامح الكل من ذنوب غدا بها يشهد البنان
وصل ياذا الملا وسلم على من اخلاقه حسان

(وهذه) قصيدة الامام الولي العارف بالله تعالى أبي محمد بن أبي عمران اليشكري نفعنا الله به قال العلامة بدر الدين بن فرحون أحد أصحاب ناظمها ان بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال البدر وأشك هل كان هو الشيخ أو غيره وأنشده هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم رضيناها رضيناها وهي هذه

دار الحبيب احق ان تهواها ونحن في طرب الى ذكراها
وعلى الجفون اذا هممت بزورة ياابن الكرام عليك ان تغشاها
فلانت أنت اذا حللت بطيبة وظللت ترتع في ظلال رباها
مغني الجمال من الخواطر والتي سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكي كتربها هيهات أين المسك من رباها
طابت فان تبغي لطيب بافتى فادم على الساعات ثم تراها
وابشر ففي الصحيح تقررا ان الاله بطابية سماها
واختصها بالطيبين لطيبها واختارها ودعا الي سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطىء الثري وأجلهم قدرا وأعظم جاها
كل البلاد اذا ذكرت كاحرف في اسم المدينة لا خلا معناها
حاشا مسمى القدس فهي قريبة منها ومكة انها اباها
لافرق الا ان ثم لطيفة مهما بدت يجلو الظلام سناها

جزم الجميع بان خير الارض ما   قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بما كنها علت   كالنفس حين زكت زكى ماواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة   فغدت وكل الفضل في معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه الله   شرفها به وحباها
ما بين قبر النبي ومنبر حيا الاله   رسوله وسقاها
هذي محاسنها فهل من عاشق   كانت شجى ناحل بنواها
انى لارهب من توقع بينها   فيظل قلبي موجعا أواها
ولقلما أبصرت حال مودع   الارثت له نفسي وشجاها
فلكم أرا كم قافلين جماعة   في اثر اخرى طالبين سواها
قسما لقد اكسى فؤادي بينكم   جزعا وخص مقلتي مياها
ان كان يزعجكم طلاب فضيلة   فالخير اجمعه لدى مثواها
او خفتموا بها سرا فتاملوا   بركات بقعتها فما أزكاها
اف لمن يبغي الكثير لشهوة   ورفاهة لم يدر ما عقباها
فالعيش ما يكفي وليس هو الذى   يطغى النفوس الى خسيس مناها
يارب اسال منك فضل قناعة   بيسيرها وتحصنا بحماها
فارضاك عني دائما ولزومها   حتى توافي مهجتي اخراها
وانا الذي أعطيت نفسي سؤلها   فقبلت دعواها فيابشراها
بجوار اوفي العالمين بذمه   وأعز من بالغرب منه يباهي
من جاء بالايات والنور الذى   داوي القلوب من العمي فشفاها
اولى الانام بخطة الشرف التى   تدعى الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون شرف وجوده   يس اكسير المحامد طاها
حسبي فلست افي ببعض صفاته   لوان لي عدد الورى أفواها
كثرت محاسنه فاعجز حصرها   فسدت وما نلقي لها اشباها
انى اهتديت من الكتاب باية   فعلمت ان علاه ليس يضاهي
ورأيت فضل العالمين محددا   وفضائل المختار لا تتناهي
كيف السبيل الى تقصي مدح من   قال الاله له وحسبك جاها

ان الذين يبايعونك انما ... هم من يقال يبايعون الله
هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها لنشاتها الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذلكم ... تهدي النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد ... وعليه من بركاته انماها
وعلي الاكابر آله سرج الهدي ... اكرم بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم ... وعلى صحابته التي زكاها
اعني الكرام اولى النهى اصحابه ... فئة التقي ومن اهتدي بهداها
والحمد لله الكريم وهذه ... نجزت وظني انه يرضاها

وهذا آخرها والحمد لله وحده (ولبعضهم شعرا)

لله في ملكه خاتم ... تجري المقادير على نقشه
لا تنبشن الشر تبلى به ... واحذر على ذلك من نبشه
مصارع الدهر لها سطوة ... تنزل السلطان عن عرشه
واطغى الكبش بلحم الكلا ... اذ رج رأس الكبش في كرشه
اذا بنى المرء على جنسه ... لابد أن ينكب في فرشه

(قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك) ذكر العلامة الشمس العلقمي فى حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال جاء رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى أخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فاتني بابيك فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام و يقول لك اذا جاء الشيخ فاساله عن شيء قاله في نفسه ماسمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم مابال ابنك يشكوك اتريد أن تاخذ ماله فقال يارسول الله هل انفقه الا على احدى عماته أو خالاته أو على نفسى فقال عليه الصلاة والسلام ايها الشيخ دعنا من هذا اخبرني عن شيء قلته في نفسك ماسمعته أذناك فقال الشيخ والله يارسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ماسمعته اذ ناي فقال له قل وانا اسمع فقال

غذيتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما اسدي اليك وتنهل
اذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت ... لسقمك الا ساهرا أتململ
كانى أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيناي تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت شيء مسجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... لها مدة قد كنت فيك اؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلباب ابنه وقال انت ومالك لابيك انتهى

(وحكى الاصمعى) قال خرجت فى طلب الاعاجيب من الاحاديث فلاحت لى بلدة بيضاء كانها الغمامة فدخلتها فاذا هى خراب وليس فيها ديار ولا انيس فبينما انا ادور فى نواحيها اذ سمعت كلاما ظ رقلبي فانصت فاذا هو كلام موحش فسللت سيفى ودخلت ذلك المكان فاذا انا برجل جالس وبين يديه صنم وفي يديه قضيب وهو يبكى وينكت به الارض ويقول

اما ومسيح الله لو كنت عاشقا ... لمت كما ماتت وماضمني لحدي
وكم انسلي بالحديث وبالمنى ... وبالعبرات السائلات على خدي
وانى وان لم ياتني الموت سرعة ... لامسى على جهد واضحي على جهد

قال فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه فلم يشعر بى الا ان قلت له السلام عليك فرفع راسه وقال عليك السلام من اين انت ومن جاء بك الى هذا المكان فقلت الله جاء بي قال صدقت وهو الذي افردني في هذا المكان فقلت له ما بالك تشير الى هذا الصنم الذي بين يديك فقال لى ان حديثي عجيب وامري غريب فقلت له حدثني به ولا تخف منه شيا فقال لى اعلم اننا قد كنا قوما من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمي وكنت انا واياها فلما كبرت حجبها عمي عني فكنت احبها سرا فبينما انا ذات ليلة وانا عندها اذ سمعت عمي يدق الباب فادخلتني سردابا وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال لها ابن عبد المسيح فقالت انى لم اره فقال لها انى سمعت كلامه عندك فقالت لم تسمع شيا وانما خيل لك فقال لا والله ان لم تصدقيني والا دعوت عليك ان كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له ان كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يارب الاولين والاخرين ان كنت تعلم ان ابنتي هذه كاذبة فى قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولى اربعون سنة في هذا المكان وانا اتقوت من نبات الارض

واشرب من هذه الانهار واتسلى بالنظر الى هذه الصنعة الى ان يحكم الله لي بالموت ثم بكى وانشد

يقول وحق الذى ابكى واضحك والذي ... امات واحيا والذي خلق الخلقا

لئن قلت ان الحب يقتل الفتي ... وان الفتي بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقا واسال العبرة التى ... تسيل وسيل الدمع مني لا يرقا

(قال) الاصمعى ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدر ونزع المسوح التى كانت عليه ولم يبق عليه الا ما يواري سواته فتاملته فاذا عيناه تدور في ام راسه فقلت في نفسي هذا اراد ان يطلعني على نحول جسده ثم اقبل علي وهو عريان وقال لي يا فتي انني قائل ثلاث ابيات وكان مني ما كان فاذا انا مت فكفني انا واياها في هذه الجبة وادفنا في هذا الجون وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذا الابيات

من لم يكن يحسب ان الهوي ... يقتل فلينظر الى مضجعى

لم يبق لى حول ولا قوة ... الا خيال الشمس في موضعي

اشكو الى الرحمن جهد البلا ... اشارة بالطرف والاصبع

(قال) الاصمعى هذا وانا انظر اليه واسمع شعره واتعجب منه ومن امر الصنمة واذا به وقع على الارض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده قال الاصمعى فكفنتها ودفنتهما في ذلك الجون وكتبت على قبرهما تلك الابيات وتركتهما وانصرفت وانا متعجب غاية العجب انتهى (ولما) عزم احمد بن طولون على بناء الجامع المعروف به في مصر القاهرة نفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والقراء وارباب الشعائر والبيوت في كل شهر عشرة آلاف دينار وللصدقة في كل يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال حميدة (منها) ان فقيرا كان بجواره وله امراة و بنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت الي السوق قط ولا خرجت فسالت امها واباها ان تخرج معهما الى السوق فوعداها بذلك فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الامير المسمي بالفيل وتمادي الاب والام وتركاها ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة لا تدري اين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الامير المسمى بالفيل فلما رآها افتتن بها ثم امر الجواري يغسلنها وينظفنها ويلبسنها احسن الملبوس ويطيبنها بانواع الطيب ويجلينها له ففعلن ذلك فدخل عليها وازال بكارتها وابواها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان

عليها جميع الاماكن فلم يقعالهـا على خبر فلم يزالا يبكيان فلمـا جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج ابوها وفتح الباب فقال الرجل لابيها ان الامير المسمى بالفيل اخذا بنتك وازال بكارتها فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لاحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على انه اذا احدثت فاحشة من الفواحش يؤذن في غير الوقت ليحضره و يستفهم منه الواقعة وكان المؤذن بينه و بين ابي البنت صداقة فجاء اليه واخبره بخبره فصعد واذن فسمعه احمد بن طولون فارسل خلفه فاخبره بالقضية فاستدعي بابوي البنت وخباهما في خزانه وكان وقت مجيء الفيل للخدمة فلما دخل على عادته قال له نهنيك بالعروس الجديدة فقال له ومن اين لي عروس جديدة قال اتنكرني وهذا ابو الجارية وامها واخرجهما اليه فلما رآهما نكس راسه خجلا من الامراء الحاضرين فقال له احمد بن طولون ارفع راسك ثم قال لابيها تزوج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره الف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة فقال نعم فامر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما و وضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود امر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع راسه وقال احمد بن طولون لابي الجارية ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقي من تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على افعاله فانظر الي هذا العدل العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (ومما نقل عن بعضهم)

نوق رعاك الله تسعا من البشر ... فصحبتهم تفضي الى البؤس والضرر
وهم احول مع اعرج ثم احدب ... كذا كوسج يتلو تساطا مع الكدر
واياك والانف الطويل ثم اصفرا ... فانهما بيت الخيانة والخطر
كذا غائر الصدغين خارج جبهة ... كذا ازرق العينين فالحذر الحذر
توقاهمو تحيا سليما من الردي ... وباعدهمو ياذا الفراسة والنظر

بحمد الله ذي القوة والباس قد تم طبع كتاب اعلام الناس بمطبعة العلوم الادبية بشارع حيضان الموصلي بمصر

(فهرست كتاب اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس)